

## ( ٨١ ) ما مَثَلُ الَّذِي يُخْبِرُ بِمَا فَعَلَ بِأَهْلِهِ .. ؟

عن أسماء بنت يزيد رضی الله عنها أنها كانت عند رسول الله ﷺ والرجال والنساء قُعوداً عنده ، فقال : « لَعَلَّ رَجُلًا يَقُولُ مَا فَعَلَ بِأَهْلِهِ ، وَلَعَلَّ امْرَأَةً تُخْبِرُ بِمَا فَعَلَتْ مَعَ زَوْجِهَا ؟ » فَأَرَمَ (٤٩٢) القوم ، فقلتُ : إى والله يا رسول الله إنهم ليفعلون وإنهن ليفعلن ، قال : « فلا تفعلوا فإنما مَثَلُ ذَلِكَ مَثَلُ شَيْطَانٍ لَقِيَ شَيْطَانَةً فغَشِيَهَا وَالنَّاسُ يَنْظُرُونَ » . رواه أحمد من رواية شهر بن حوشب .

ففى هذا الحديث الشريف يشير النبى ﷺ إلى أمر شنيع لا يصدر إلا من جانب الفساق ذكورهم وإناثهم ، وهذا الأمر المشار إليه فى الحديث هو أن الرجل يحدث الرجل بما فعل مع أهله ، وتحدث المرأة بما فعلت مع زوجها . إن النبى ﷺ قد شبه الرجل الذى يفعل هذا بشيطان لقى شيطانة فغشيتها والناس ينظرون .. فما أروع هذا التشبيه الذى إن دل على شيء (٤٩٣) فإنما يدل على أن الحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه قد أشار إلى جرم كبير يحدث كثيرًا فى كثير من المجتمعات ، بل فى كثير من الاجتماعات التى يغشاها هؤلاء الذين لا خلاق لهم من الذكور والإناث الذين يتباهون بهذا الفسق ، ﴿ .. وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ﴾ (٤٩٤) ، وحسب هؤلاء الفساق أن يعلموا أنهم بهذا يعملون على ارتكاب جريمة الزنا - بأهليهم - لأنه عندما يتحدث الرجل منهم مع رفيقه بما كان بينه وبين زوجته أثناء الجماع - مثلاً - فإن الرفيق هذا سيكون مشغولاً بهذا الموضوع ، وربما خطط مع شيطانه للالتقاء بهذه الزوجة التى حدثه عنها زوجها ، والعكس كذلك هو الصحيح بالنسبة للمرأة مع المرأة . والعياذ بالله .

إننى لا أتصور أبدًا أن يكون هناك رجل سَوِيٌّ يسمح لنفسه أن يُفشى سرًا بينه وبين زوجته لشيطان من شياطين الإنس ، وكذلك لا أتصور امرأة صالحة تسمح لنفسها بأن تُفشى السر الذى بينها وبين زوجها لشيطانة أخرى من الفاجرات ، إنهما بهذا الفعل من أشر الناس .

( ٤٩٢ ) ( فارم ) أى : سكتوا .

( ٤٩٣ ) وقد دل فعلاً على أمر هام .. لأنه كلام الصادق المصدق صلوات الله وسلامه عليه الذى لا

( ينطق عن الهوى ) .

( ٤٩٤ ) ( سورة الكهف : من الآية ١٠٤ ) .

فَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنْ مِنْ أَشْرِ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ مَنْزِلَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : الرَّجُلُ يُفْضَى إِلَى امْرَأَتِهِ ، وَتُفْضَى إِلَيْهِ ثُمَّ يَنْشُرُ أَحَدُهُمَا سِرَّ صَاحِبِهِ » . وَفِي رِوَايَةٍ : « إِنْ مِنْ أَعْظَمِ الْأَمَانَةِ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : الرَّجُلُ يُفْضَى إِلَى امْرَأَتِهِ وَتُفْضَى إِلَيْهِ ثُمَّ يَنْشُرُ سِرَّهَا » . رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَأَبُو دَاوُدَ .

فَعَلَى الْإِخَاءِ الْمُسْلِمِ وَالْأَخْتِ الْمُسْلِمَةِ أَنْ يِلَّاخِظَا هَذَا .. حَتَّى لَا يَقَعَا فِي هَذَا الْحَظُورِ ، وَحَتَّى لَا يَكُونَا كَهَذَيْنِ الْفَاسِقِينَ الْفَاجِرِينَ الْمَشَارِ إِلَيْهِمَا فِي الْحَدِيثِ .

وَاللَّهُ أَسْأَلُ أَنْ يَحْفَظَنَا وَيَحْفَظَ نِسَاءَنَا مِنَ الشَّرِّ وَالْأَشْرَارِ ... اللَّهُمَّ آمِينَ .

## ( ٨٢ ) يَا رَسُولَ اللَّهِ .. مَاذَا يُنَجِّي الْعَبْدَ مِنَ النَّارِ ؟

عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَا تَقُولُ فِي الصَّلَاةِ ؟ (٤٩٥) ، قَالَ : « تِمَامُ الْعَمَلِ » (٤٩٦) ، قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ تَرَكْتُ أَفْضَلَ عَمَلٍ فِي نَفْسِي أَوْ خَيْرِهِ ؟ (٤٩٧) ، قَالَ « مَا هُوَ ؟ » قُلْتُ : الصَّوْمُ . قَالَ : « خَيْرٌ وَلَيْسَ هُنَاكَ » (٤٩٨) . قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ وَأَيُّ الصَّدَقَةِ (٤٩٩) ، وَذَكَرَ كَلِمَةً ، قُلْتُ : فَإِنْ لَمْ أَقْدِرْ ؟ (٥٠٠) قَالَ : « بِفَضْلِ طَعَامِكَ » (٥٠١) ، قُلْتُ : فَإِنْ لَمْ أَفْعَلْ ؟ (٥٠٢) قَالَ : « بِشِقِّي »

---

( ٤٩٥ ) أَيُّ : مَا الَّذِي تَقُولُهُ فِي فَضْلِ الصَّلَاةِ وَمَنْزِلَتِهَا ..

( ٤٩٦ ) يَعْنِي : أَنَّهَا أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ وَخَيْرُهَا .

( ٤٩٧ ) يَعْنِي : أَنَّ أَبَا ذَرٍّ كَانَ يَرَى أَنَّ أَفْضَلَ الْأَعْمَالِ وَخَيْرُهَا هُوَ الصِّيَامُ ، حَتَّى سَمِعَ مَا قَالَهُ الرَّسُولُ ﷺ فِي الصَّلَاةِ ، وَ « أَوْ » هُنَا لِلشَّكِّ .

( ٤٩٨ ) أَيُّ : لَيْسَ هُوَ أَفْضَلَ الْأَعْمَالِ كَمَا كُنْتَ تَظُنُّ وَلَكِنَّهُ مِنْ خَيْرِهَا .

( ٤٩٩ ) لَمْ يَذْكُرْهَا الرَّوَايَ لِأَنَّهُ نَسِيَهَا ، وَتَقْدِيرُهَا أَفْضَلُ أَوْ أَعْظَمُ أَجْرًا ، فَقَالَ لَهُ : « جَهْدٌ مِنْ مَقْلِ أَوْ سِرِّ إِلَى فَقِيرٍ » .

( ٥٠٠ ) يَعْنِي : إِنْ لَمْ أَجِدْ مَا أَتَصَدَّقُ بِهِ .

( ٥٠١ ) أَيُّ : بِمَا بَقِيَ مِنْهُ وَلَوْ لِقَمَةٍ أَوْ لِقْمَتَانِ .

( ٥٠٢ ) لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِي فَضْلُ طَعَامٍ .

تمرّة» (٥٠٣) قلتُ : فإن لم أفعل ؟ قال : « بكلمة » (٥٠٤) ، قلت : فإن لم أفعل ؟ قال : « دع الناس من الشرِّ (٥٠٥) ، فإنها صدقة تُصدَّقُ (٥٠٦) بها على نفسك » قلتُ : فإن لم أفعل ؟ قال : « تُريدُ أن لا تدع فيك من الخير شيئاً » (٥٠٧) . رواه البزار ، واللفظ له وابن حبان في صحيحه أطول بنحوه ، والحاكم ، ويأتى بلفظه إن شاء الله .

وقد رواه الإمام أحمد عن أبي ذر من حديث عبيد بن الخشخاش بالفاظ تختلف كثيراً عما هنا ، قال أبو ذر : أتيت النبي ﷺ وهو في المسجد فجلست ، قال : « يا أبا ذر هل صليت ؟ » قلتُ : لا ، قال : « قُمْ فَصَلْ » قال : فقمْتُ فصليتُ ، ثم جلستُ ، فقال : « يا أبا ذر تعودُ بالله من شرِّ شياطين الإنس والجن » قال : قلتُ : يا رسول الله أو للإنس شياطين ؟ قال : « نعم » قال : قلتُ : يا رسول الله الصلاة ؟ قال : « خير موضوع من شاء أقل ومن شاء أكثر » قال : قلتُ : يا رسول الله فالصوم ؟ قال : « فرض مجزئ وعند الله مزيد » قلتُ : يا رسول الله فالصدقة ؟ قال : « أضعاف مضاعفة » قلتُ : يا رسول الله فايها أفضل ؟ قال : « جهد من مقل أو سِرُّ إلى فقير » .

وروى البيهقي ولفظه في إحدى رواياته قال : سألت رسول الله ﷺ : ماذا ينجى العبد من النار ؟ قال : « الإيمان بالله » ، قلت : يا نبي الله : مع الإيمان عمل (٥٠٨) ؟ قال : « أن ترضخ مما خولك الله (٥٠٩) ، وترضخ مما رزقك الله » . قلت : يا نبي الله فإن كان فقيراً لا يجد ما يرضخ ؟ قال : « يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر » قلت : إن كان لا يستطيع أن يأمر بالمعروف ، ولا ينهى عن المنكر ؟ قال : « فليُعن الأخرق » (٥١٠) ، قلتُ : يا رسول الله أرايت إن كان لا يُحسن أن يصنع ؟ قال : « فليُعن مظلوماً » قلتُ :

(٥٠٣) أى : بنصفها .

(٥٠٤) وهو رد السائل بالمعروف والعدة الجميلة ، ولين الكلام للناس والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

(٥٠٥) أى : اجتنب كل ما يؤذي الناس من قول أو فعل ، فالمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده .

(٥٠٦) أى : تتصدق فحذفت إحدى التاءين للتخفيف .

(٥٠٧) وصدق رسول الله ﷺ فإن من يعجز عن فعل أقل الخير ثم لا يقدر أن يحبس نفسه عن الشر يكون مجرداً من كل خير ولا يكون لوجوده قيمة أصلاً .

(٥٠٨) يعنى : هل هذا الإيمان بمجردة كاف في النجاة أم يحتاج إلى عمل ؟

(٥٠٩) أى : أن تعطى اليسير مما مَلَكَك الله وأنعم به عليك ، فالرضخ العطاء القليل ، ومعنى خولك : أعطاك .

(٥١٠) الأخرق : أى : الأحمق الذي لا يحسن عمله .

يا نبي الله أرايت إن كان ضعيفًا لا يستطيع أن يعين مظلومًا ؟ قال : « ما تريد أن تترك لصاحبك من خير ، ليُمسك أذاه عن الناس » . قلت : يا رسول الله أرايت إن فعل هذا أُدخله الجنة ؟ قال : « ما من عبد مؤمن يُصيبُ خصلةً من هذه الخصال (٥١١) إلا أخذت بيده حتى تُدخله الجنة » .

فعل الأخ المسلم والأخت المسلمة أن يلاحظا كل هذا ويفهما المراد منه حتى ينتفعا به . . ويقدما لتفسيهما خيرًا ينفعهما هناك : ﴿ يوم ينظرُ المرءُ ما قدَّمَتْ يده ﴾ (٥١٢) ، وحسبهما ترغيبًا في هذا ما وقفنا عليه في هذه الروايات التي أرجو أن نكون من المنفذين لما أشارت إليه .... والله ولي التوفيق .

## ( ٨٣ ) ألا أخبركم عن النفر الثلاثة ؟

عن أبي واقد الليثي قال : بينا رسول الله ﷺ جالس في المسجد إذ أقبل ثلاثة نفر (٥١٣) فأقبل اثنان إلى الرسول ﷺ فرأى أحدهما فرجة في الحلقة فجلس ، وجلس الآخر خلفهم ، وأما الثالث فذهب مُدبرًا ، فلما فرغ رسول الله ﷺ قال : « ألا أخبركم عن النفر الثلاثة ؟ أما أحدهم فأوى إلى الله فأواه الله ، وأما الآخر فاستحيا فاستحيا الله تعالى منه ، وأما الآخر (٥١٤) فأعرض فأعرض الله تعالى عنه » .

أخرجه البخاري ومسلم والترمذي .

ففي هذا الحديث الشريف الصحيح يشير النبي ﷺ من خلال إجابته إلى : فضل

---

( ٥١١ ) أى : المتقدمة ومنها كف شره وأذاه عن الناس .

( ٥١٢ ) سورة النبا : من الآية ٤٠ .

( ٥١٣ ) النفر : الناس كلهم وما دون العشرة من الرجال . وأوى إلى الله ، أى : رجع إليه ، وأواه الله ،

أى : حاطه برعايته ، واستحيا : من الحياء وهو ال الخلق تغير وانكسار يوجد عند ظهور

عيب وهو من الإيمان ، وإعرض الله ، أى : عدم مبالاته .

( ٥١٤ ) أى : الثالث .

العلم والعلماء ، وذلك حتى نحرض كل الحرص على أن نكون من الحريصين على طلب العلم النافع الذي هو النور الذي تسير على هداة

لولا العلمُ ما سَعِدَتْ نفوسٌ ولا عُـرِفَ الحلالُ من الحرامِ

ولهذا ، فإن النبي صلوات الله وسلامه عليه كان يُرَغَّبُ في طلب العلم :

فعن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال : « مَنْ نَفَسَ (٥١٥) عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا (٥١٦) نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسِّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ ، وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا (٥١٧) سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ ، وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ (٥١٨) يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ (٥١٩) إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ (٥٢٠) ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ ، وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ (٥٢١) ، وَمَنْ بَطَأَ بِهِ عَمَلُهُ (٥٢٢) لَمْ يَسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ » . رواه مسلم وأبو داود والترمذى .

وعن أبي الدرداء رضى الله عنه قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَبْتَغِي فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضَاءً لِطَالِبِ الْعِلْمِ ، وَإِنَّ الْعَالِمَ لِيَسْتَغْفِرَ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ حَتَّى الْحَيَاتَانِ فِي الْمَاءِ ، وَفَضَلَ الْعَالِمَ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضَلَ الْقَمَرَ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ . إِنْ الْعُلَمَاءُ وَرَتَةَ الْأَنْبِيَاءَ . إِنْ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُورَثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا ، إِنْمَّا وَرَثُوا الْعِلْمَ ، فَمَنْ أَخَذَ بِهِ أَخَذَ بِحِظِّ وَافِرٍ » . رواه أبو داود والترمذى واللفظ له .

هذا ، وإذا كان لي بعد هذا التقديم أن أشير إلى أهم ما عناه النبي ﷺ في نص الحديث

(٥١٥) أى : فَرَجَ وَأَزَالَ .

(٥١٦) أى : شِدَّةً مِنْ شِدَاتِهَا .

(٥١٧) أى : سَعَى إِلَى جِهَةِ يَطْلُبُ الْعِلْمَ مِنْهَا .

(٥١٨) أَوْ فِي غَيْرِهَا مِنْ بُيُوتِ الْعِلْمِ النَّافِعِ .

(٥١٩) أَوْ يَقْرَأُونَ أَحَادِيثَ الرَّسُولِ ﷺ وَيُفَسِّرُونَهَا وَيَأْخُذُونَ مِنْهَا الْأَحْكَامَ .

(٥٢٠) وَهِيَ طَمَئِينَةُ الْقَلْبِ بِزِيَادَةِ الْإِيمَانِ .

(٥٢١) أى : فِي الْمَلَأِ الْأَعْلَى يَرْفَعُ شَأْنَهُمْ .

(٥٢٢) أى : أَخْرَجَهُ عَمَلُهُ السَّيِّئَ .

- الذى ندور حوله - فهو أن النبى ﷺ كان يجلس مع بعض أصحابه فى المسجد حول مائدة من موائد علمه النافع ، إذ أقبل عليه ثلاثة نفر ، فاقبل اثنان إلى رسول الله ﷺ وذهب واحد .. ( قال ) فوقفا على رسول الله ﷺ - أى بجوار حلقة علمه صلوات الله وسلامه عليه - أما أحدهما فرأى فرجة - أى محلاً خالياً - فى الحلقة فجلس فيها ، وأما الآخر فجلس خلفهم - أى خلف الجالسين فى حلقة العلم - وأما الثالث : فادبر - أى رجع ولم يجلس معهم - ذاهباً .. فلما فرغ رسول الله ﷺ أراد أن يبين لأصحابه درجات هؤلاء الثلاثة من الإيمان ، فقال : « إلا أخبركم عن النفر الثلاثة » ثم قال : « أما أحدهم » وهو الذى جلس فى الحلقة « فأوى إلى الله » أى : لجأ إليه « فأوى الله » أى : جازاه الله على جلوسه فى مجلس العلم بضمه إلى رحمته ورضوانه « وأما الآخر » وهو الذى جلس خلف الحلقة « فاستحيا » أى : بترك المزاحمة فى مجلس النبى ﷺ « فاستحيا الله منه » أى : بترك عقابه ، بل عامله بلطفه وإحسانه « وأما الآخر » الذى أدبر ذاهباً « فأعرض فأعرض الله عنه » أى : سخط عليه وعاقبه جزاءً وفاقاً .

فلاحظ كل هذا أخا الإسلام حتى تكون حريصاً على طلب العلم ومجالسة العلماء العاملين . فقد قرأت أن لقمان الحكيم قال لولده فى وصية من أعظم وصاياه : ( يا بنى لا تجالس الفجار ولا تماشهم ، اتق أن ينزل عليهم عذاب من السماء فيصيبك معهم ، وجالس العلماء والفضلاء .. فإن الله تعالى يحيى القلوب الميتة بالفضيلة والعلم كما يحيى الأرض بوابل المطر ) .

والله ولى التوفيق .



## ( ٨٤ ) أَى الزَّيَانِبِ هِى ؟

عن زينب الثَّقَفِيَّةِ امرأةَ عبد الله بن مسعودِ رضى الله عنه وعنهما قالت : قال رسول الله ﷺ : « تَصَدَّقْنَ يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ وَلَوْ مِنْ حَلِيكُنَّ » قالت : فرجعتُ إلى عبد الله بن مسعود فقلت له : إنك رجلٌ خفيف ذات(٥٢٤) اليد ، وإن رسول الله ﷺ قد أمرنا بالصدقة فاتَه(٥٢٥) فاسأله فإن كان ذلك يُجزئُ عَنِّي(٥٢٦) وإلا صرفتها إلى غيركم ، فقال عبد الله : بل ائْتِيهِ أَنْتِ ، فانطلقتُ فإذا امرأةٌ من الانصارِ ببابِ(٥٢٧) رسول الله ﷺ حاجتِي حاجتُها ، وكان رسول الله ﷺ قد أَلْقَيْتُ عليه المهابةَ فخرج علينا بلالٌ فقلنا له انت رسول الله ﷺ فأخبره أن امرأتينِ بالبابِ تسالانك : أتجزئُ الصدقةُ عنهما على أزواجهما وعلى أيتامٍ في حُجُورهما(٥٢٨) ولا تُخبرهُ مَنْ نحنُ ، فدخل بلالٌ على رسول الله ﷺ فسأله ، فقال له رسول الله ﷺ : « مَنْ هُمَا ؟ » قال : امرأةٌ من الانصارِ ، فقال رسول الله ﷺ : « أَى الزَّيَانِبِ هِى ؟ » قال : امرأةٌ عبد الله ، فقال رسول الله ﷺ : « لهما أجرانِ : أجر القِرابَةِ وأجرُ الصدقةِ » . متفق عليه .

ففى هذا الحديث الشريف الصحيح ومن خلال إجابته صلوات الله وسلامه عليه يشير الحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه إلى الثواب المضاعف الذى سيفوز به من ينفق على ذوى قِرباه ، وهو : أجر القِرابَةِ ، وأجر الصدقة .

وفى الحديث : « إن أحق الناس بصرف صدقة التطوع والزكاة والنذر والكفارة والوقف والوصية وسائر وجوه البر الأقارب » .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « من كان يؤمنُ بالله واليوم الآخر فليكرمُ ضيفَه ، ومن كان يؤمنُ بالله واليوم الآخر فليصل رحمه ، ومن كان يؤمنُ بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت »(٥٢٩) . متفق عليه .

(٥٢٣) أى : جماعة .

(٥٢٤) أى : قليل المال .

(٥٢٥) أى : هل يجزئُ عنى التصدق عليك وعلى أولادى فأصرفها عليكم .

(٥٢٦) أى : هل يُقبل منى ؟

(٥٢٧) أى : واقفة به .

(٥٢٨) أى : فى ولايتهما وتربيتهما .

(٥٢٩) وإذا كان هذا الحديث قد ذكر قبل هذا فى شرح فتوى سابقة ، فقد أعيد ذكره هنا للاستدلال

به فى موقعه . أو لتأكيد المعنى المراد .

قال القاضي عياض : لا خلاف أن صلة الرحم واجبة في الجملة وتطيعتها معصية كبيرة ، ولكن الصلة درجات بعضها أرفع من بعض ، وأدناها ترك المهاجرة وصلتها بالكلام وبالسلام ، ويختلف ذلك باختلاف القدرة والحاجة : فمنها واجب ومنها مستحب ، ولو وصل بعض الصلة ولم يصل غايتها لا يُسَمَّى قاطعاً ، ولو قصر عما يقدر عليه وينبغي له لم يُسَمَّ واصلاً .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله تعالى خلق الخلق حتى إذا فرغ منهم قامت الرحم فقالت : هذا مقام العائذ بك من القطيعة ، قال : نعم ، أما ترصنين أن أصل من وصلك ، وأقطع من قطعك ؟ قالت : بلى ، قال : فذلك لك . »

ثم قال رسول الله ﷺ : « اقرءوا إن شئتم : ﴿ فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم ﴾ أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم ﴾ (٥٣٠) » والحديث متفق عليه .

قال القرطبي : وعليه فالرحم بمعنى القرابة ، وقال القاضي عياض : وقد اختلف في حد الرحم التي تجب صلتها ويحرم قطعها ، فقيل : هو كل رحم محرم بحيث لو كان أحدهما ذكراً والآخر أنثى حرمت مناكحتهما ، فعليه لا يدخل أولاد العم والخال واحتج هذا القائل بتحريم الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها في النكاح ونحوه وجواز ذلك في بنات الأعمام والأخوال ، وقيل : هو عام في كل ذى رحم من ذوى الأرحام في الميراث يستوى فيه المحرم وغيره ، ويدل عليه قوله عليه الصلاة والسلام : « ثم أدناك أدناك » أ . هـ ، قال المصنف في ( دليل الفالحين ) : والقول الثانى هو الصواب ، ومما يدل عليه قوله ﷺ في الحديث في أهل مصر : « فإن لهم ذمة ورحمًا » وحديث : « إن أبر البر أن يصل الرجل أهل وُد أبيه » مع أنه لا محرمية والله أعلم .

قال القرطبي : ويخرج من هذا القول أن رحم الأم التي لا يتوارث بها لا تجب صلتهم ولا يحرم قطعهم . والصواب ما ذكرناه من أنها قرابات الرجل من جهة طرفي آبائه وإن علواً وأبنائه وإن نزلوا ، وما يتصل بالطرفين من الإخوة والأخوات والأعمام والعمات والأخوال والخالات وما يتصل بهم من أولادهم برحم جامعة أ ، هـ .

( ٥٣٠ ) سورة محمد : الآية ٢٢ - ٢٣ .



الذى لا تغير فيه ، وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى : ﴿ يمحوا الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب ﴾ (٥٣٣).

فالحديث فيه ما أشارت إليه أول الآية من الأجل المعلق ، وقوله : ﴿ وعنده أم الكتاب ﴾ ، أشار به إلى العلم الإلهي الذى لا تغير فيه البتة ويعبر عنه بالقضاء المبرم ، وعن الأول بالقضاء المعلق ، والوجه الأول البيق بلفظ حديث الباب ، فإن الأثر ما يتبع الشيء فإذا أُخِرَ حَسُنَ أن يُحمل على الذكر الحسن بعد فقد المذكور ... ويؤيده قول إبراهيم الخليل عليه السلام فى القرآن الكريم : ﴿ واجعل لى لسان صدق فى الآخرين ﴾ (٥٣٤).

وجزم ابن فورك بأن المراد بزيادة العمر : نفى الآفات عن صاحب البر فى فهمه وعقله ، وقال غيره : فى أعم من ذلك ، وفى وجود البركة فى رزقه وعمله ونحو ذلك ، والله أعلم .

فلاحظ كل هذا أخا الإسلام وكن منفذاً للمراد منه ، وإياك أن تكون قاطعاً لرحمك . فعن أبى محمد جبير بن مطعم رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « لا يدخل الجنة قاطع » .

قال سفيان فى روايته : يعنى قاطع الرحم . متفق عليه .

وفى وصية من وصايا الرسول ﷺ كان يقول : « أوصانى ربي بتسع أوصيكم بها : أوصانى بالإخلاص فى السر والعلانية ، والعدل فى الرضا والغضب ، والقصد فى الغنى والفقر ، وأن أعفو عمن ظلمنى ، وأعطى من حرمنى ، وأصل من قطعنى ، وأن يكون صمتى فكراً ، ونطقى ذكراً ، ونظرى عبراً » رواه رُزين .

فكن مقتدياً برسول الله ﷺ .. حتى تكون من أهل البر الصادقين المنفقين . والله ولى التوفيق .



---

( ٥٣٣ ) سورة الرعد : الآية ٢٩ .

( ٥٣٤ ) سورة الشعراء : الآية ٨٤ .

## ( ٨٥ ) أَيُّهُمَا أَكْثَرُ أَخْذًا لِلْقُرْآنِ ؟

عَنْ جَابِرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَجْمَعُ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ مَنْ قَتَلَ أَحَدَهُمَا (٥٣٥)   
يعنى في القبر ، ثم يقول « أَيُّهُمَا أَكْثَرُ أَخْذًا لِلْقُرْآنِ ؟ فَإِذَا أُشِيرَ لَهُ إِلَى أَحَدِهِمَا قَدَّمَهُ فِي   
اللَّحْدِ » (٥٣٦) . رواه البخارى .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما أن النبي ﷺ قال : « أرانى فى المنام أتسوك بسواك   
فجاءنى رجلان أحدهما أكبر من الآخر فناولت السواك الأصغر ، فقيلى فى (٥٣٧) :   
كَبْرٍ فدفعته إلى الأكبر (٥٣٨) مِنْهُمَا » . رواه مسلم مسنداً والبخارى تعليقا .

وعن أبى موسى رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إِنْ مِنْ إِجْلَالِ اللَّهِ تَعَالَى   
إِكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ ، وَحَامِلِ الْقُرْآنِ غَيْرِ الْغَالِي فِيهِ وَالْجَافِي عَنْهُ ، وَإِكْرَامَ ذِي   
السُّلْطَانِ الْمَقْسُوطِ » . حديث حسن رواه أبو داود .

قال ابن بطال — مشيراً إلى الحديث الثانى — فيه تقديم ذى السن ، هذا فى السواك   
ويلحق به الطعام والشراب والمشى والكلام ..

فلاحظ كل هذا أخا الإسلام حتى تكون من أهل الفضل الذين يقدرون إخوانهم   
من أهل الفضل ..

ففى هذا الحديث الأول — وهو حديث صحيح — يشير النبى ﷺ من خلال إجابته ،   
ثم من خلال تقديمه للأكثر أخذاً للقرآن فى اللحد : إلى مكانة الأكثر حفظاً للقرآن الكريم   
بالنسبة لإخوانه الذين لا يحفظون مثله سوراً أو آيات من القرآن الكريم ، فإنه إن علم   
هذا عنه يُمَيِّزُ على أقرانه فى الدنيا ولا سيما فى الإمامة بالمسلمين .. حتى عند الدفن فى   
اللحد فإنه يُقَدِّمُ على الذى سيدفن معه ( كما أشار الحديث ) .

وروى النسائى والترمذى وصححه عن هشام بن عامر ، قال : « شكونا إلى رسول   
الله ﷺ يوم أحد ، فقلنا : يا رسول الله الحفر علينا لكل إنسان شديد ، فقال رسول الله

( ٥٣٥ ) سنة أربع هـ للحاجة من كثرة القتل وقلة العمال .

( ٥٣٦ ) إلى جهة القبلة تشریفاً له .

( ٥٣٧ ) القائل : جبريل عليه السلام .

( ٥٣٨ ) بعد غسله : استعمال الغير له جائز .

﴿عَلَيْكُمْ﴾ : « احفروا ، وأعمقوا ، وأحسنوا ، وادفنوا الاثنين والثلاثة في قبر واحد »  
فقالوا : فمن تقدم يا رسول الله ؟ فقال : « قدموا أكثرهم قرأنا » ، وكان أبى ثالث ثلاثة  
في قبر واحد .

هذا بالنسبة للمنزلة الدنيوية المرئية لنا ، وأما عن المنزلة الآخروية فقد ورد فيها :  
عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « الماهر بالقرآن مع السفرة  
الكرام البررة ، والذى يقرأ القرآن ويتتعتع فيه ، وهو عليه شاق له أجران » .  
وفي رواية : « والذى يقرؤه ، وهو يشتد عليه له أجران » . رواه البخارى ومسلم  
واللفظ له ، وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه .

قال النورى : ( السفارة جمع سافر ككاتب وكتبة ، والسافر الرسول ، والسفرة  
الرسول لأنهم يسفرون إلى الناس برسالات الله ، وقيل السفارة الكتبة ، والبررة المطيعون  
من البر وهو الطاعة ، والماهر : الحاذق الكامل الحفظ الذى لا يتوقف ولا يشق عليه  
القراءة بجودة حفظه وإتقانه .

قال القاضى : يحتمل أن يكون معنى كونه مع الملائكة أن له فى الآخرة منازل  
يكون فيها رفيقاً للملائكة السفارة لاتصافه بصفاتهم من حمل كتاب الله تعالى ، قال :  
ويحتمل أن يراد أنه عامل بعملهم وسالك مسلكهم .  
وأما الذى يتتعتع فيه : فهو الذى يتردد فى تلاوته لضعف حفظه فله أجران :  
أجر بالقراءة ، وأجر بتتعتعه فى تلاوته ومشقته .

قال القاضى وغيره من العلماء : وليس معناه أن الذى تتتعتع عليه له من الأجر أكثر  
من الماهر به ، بل الماهر أفضل وأكثر أجراً لأنه مع السفارة ، وله أجور كثيرة ولم يذكر  
هذه المنزلة لغيره ، وكيف يلحق به من لم يعتن بكتاب الله تعالى وحفظه وإتقانه وكثرة  
تلاوته وروايته كاعتنائه حتى مهر فيه ، والله أعلم ( أ ، هـ .

ومعنى يشتد عليه أى : تتثقل عليه القراءة لعدم حفظه وإتقانه ، أو لأن لسانه غير  
عربى .

وعن أبى ذر رضى الله عنه قال : قلت : يا رسول الله أوصنى ؟ قال : « عليك  
بتقوى الله فإنه رأس الأمر كله . قلت : يا رسول الله زدنى . قال : عليك بتلاوة  
القرآن ، فإنه نور لك فى الأرض ، وذخر لك فى السماء » . رواه ابن حبان فى صحيحه  
فى حديث طويل .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « يقال لصاحب القرآن : اقرأ وارثق ، ورتل كما كنت ترتل في الدنيا ، فإن منزلك عند آخر آية تقرؤها » .

رواه الترمذى وأبو داود وابن ماجة وابن حبان في صحيحه ، وقال الترمذى : حسن صحيح .

( قال الخطابى ) : جاء في الأثر أن عدد آى القرآن على قدر درج الجنة ، فيقال للقرارىء : ارق في الدرج على قدر ما كنت تقرأ من آى القرآن ، فمن استوفى قراءة جميع القرآن استولى على أقصى درج الجنة في الآخرة ، ومن قرأ جزءاً منه كان رقيه في الدرج على قدر ذلك ، فيكون منتهى الثواب عند منتهى القراءة .

وعن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « الصيام والقرآن يشفعان للعبد ، يقول الصيام : ربّ إنى منعتك الطعام والشراب بالنهار فشفعنى فيه ، ويقول القرآن : ربّ منعتك النوم بالليل فشفعنى فيه فيشفعان » .

رواه أحمد وابن أبى الدنيا في كتاب الجوع ، والطبرانى في الكبير والحاكم واللفظ له ، وقال : صحيح على شرط مسلم ، قال شارح الجامع الصغير (إسناده حسن) .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « يجىء صاحب القرآن يوم القيامة ، فيقول القرآن : يارب حلّه فيلبس تاج الكرامة ثم يقول : يارب زده ، فيلبس حلة الكرامة ، ثم يقول : يارب ارض عنه ، فيرضى عنه ، فيقال له : اقرأ وارثق ويزاد بكل آية حسنة » . رواه الترمذى ، وحسنه وابن خزيمة والحاكم ، وقال : صحيح الإسناد .

فلتكن أخوا الإسلام من الفائزين بالمنزلة الدنيوية والمنزلة الآخروية بسبب حفظك للقرآن الكريم والعمل بما فيه .. وإلا كان القرآن الكريم حجة عليك لا لك .

فعن جابر رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « القرآن شافعٌ مشفعٌ ، وماجلٌ مُصدّقٌ ، من جعله أمامه قاده إلى الجنة ، ومن جعله خلف ظهره ساقه إلى النار » . رواه ابن ماجة في صحيحه .

ومعنى : ( شافع ) أى : يشفع لأهله يوم القيامة و ( مُشفع ) اسم مفعول من شفعه بتشديد الفاء إذا أذن له في الشفاعة .

ومعنى (ماحل) أى : ساع ، وفى الدعاء : ( ولا تجعله علينا ماحلاً مُصدِّقاً )  
ويجوز أن يكون من الماحلة بمعنى المخاصمة والمكايدة .

ومعنى : ( من جعله أمامه ) أى : ائتم به واتبع وصاياه واتخذة قدوة .

ومعنى : ( قاده إلى الجنة ) أى : سار أمامه حتى يُدخله الجنة بإرشاده إلى كل ما  
يوصل إليها .

ومعنى : ( جعله خلف ظهره ) أى : أهمل العمل به ونبذه وراء ظهره فكان من أهل  
النار .

ولتكن أخا الإسلام من أهل الخير الذين يتعلمون القرآن ويعلمونه لغيرهم .

فعن عثمان بن عفان رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « خيركم من تعلم القرآن  
وعَلَّمَهُ » . رواه البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه وغيرهم .

ففى الحديث الحث على تعلُّم القرآن وتعليمه ، وقد سئل الثورى عن الجهاد وإقراء  
القرآن فرجع الثانى واحتج بهذا الحديث - قاله فى الفتح .

قال الشرقاوى : لا ريب أن الجامع بين تعلم القرآن وتعليمه مكمل لنفسه ولغيره  
جامع بين النفع القاصر والنفع المتعدى .

وأما عن الحديث الثانى فإن النبى ﷺ يُرَغَّبُنا من خلاله فى توقير الكبير وإكرامه .

عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضى الله عنهم قال قال رسول الله ﷺ  
« ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويعرف شرف كبيرنا » . حديث صحيح رواه أبو  
داود والترمذى ، وقال الترمذى : حديث حسن صحيح .

وفى رواية أبى داود : « حَقُّ كَبِيرِنَا » .

وعن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ما أكرم شابُّ شيخًا لِسِنِّه  
إلا قَيَّضَ اللهُ له من يُكرِّمُه عند سِنِّه » . رواه الترمذى وقال : غريب .

وهذا أيضًا هو ما يشير إليه الرسول ﷺ فى الحديث الثالث ، فقد قال الرسول ﷺ  
فيه : « إن من إجلال الله تعالى إكرام ذى الشبيبة المسلم » . أى : من تعظيمه وتبجيله  
( إكرام ذى ) أى : صاحب ( الشبيبة المسلم ) الذى شاب شعره ، أى : ابيض ونقد عمره  
فى الإسلام والإيمان فتعظيمه وتقديمه فى الصلاة بشرطه على غيره ، وفى الجامع

والمجالس وفي القبر وغيره والرفق به والشفقة عليه من كمال تعظيم الله لحرمة عند مولاه سبحانه .

( وحامل القرآن ) أى : قارئه ، سمي حاملاً لما تحمل في حفظه من الدرس والمشقة في تفهمه والعمل بأحكامه وتدبره ، فهو كحامل لمشاق كثيرة تزيد على الأحمال الثقيلة ( غير الغالي فيه ) أى : المتجاوز الحد في التشدد والعمل به وتتبع ما خفى منه واشتبه عليه من معانيه ، والكشف عن دقيق عله .

( والجاني عنه ) أى : التارك له البعيد عن تلاوته والعمل بما فيه ، فإن هذا من الجفاء وهو البعد عن الشيء .

( وإكرام ذى ) أى : صاحب ( السلطان ) الملك و ( المقسط ) أى : العادل في حكمه بين رعيته .

فلاحظ كل هذا أبا الإسلام ، وكُنْ أهلاً لتنفيذه .. والله ولى التوفيق .

## ( ٨٦ ) من هو التيس المستعار ؟

روى ابن ماجة بإسناد صحيح أن رسول الله ﷺ قال : « ألا أخبركم بالتيس (٥٣٩) المستعار ؟ قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : هو المُحَلَّل لعن الله المُحَلِّل والمُحَلَّل له . »

وروى أبو إسحاق الجوزجاني عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : سُئِلَ رسول الله ﷺ عن المُحَلِّل فقال : « لا ، إلا نِكَاح رَغْبَةٍ لا نِكَاح دَلْسَةٍ (٥٤٠) ولا استهزاء بكتاب الله عز وجل ثم تذوق العسيلة . »

قال الشيخ ابن حجر الهيتمي في كتاب « الزواجر عن اقتراف الكبائر » ما ملخصه :

( ٥٣٩ ) التيس : هو الذكر من الطباء والمعرز والوعول .

( ٥٤٠ ) أى : خديعة وتدليس .

أخرج أحمد والنسائي وغيرهما بسند صحيح عن ابن مسعود رضى الله عنه « أن رسول الله ﷺ لعن المحلل والمحلل له » .

## \* المحرّم من الصحابة :

روى ابن المنذر وابن أبي شيبة وعبد الرزاق والأثرم عن عمر رضى الله عنه أنه قال : لا أُوتى بمحلل ولا مُحلّل له إلا رجمتها ، فسئِل ابنه — عبد الله — عن ذلك فقال : كلاهما زان . وسأل رجل ابن عمر فقال : ما تقول في امرأة تزوجتها لأجلها لزوجها لم يأمرنى ولم يعلم ؟ فقال له ابن عمر : لا ، إلا نكاح رغبة . إن أعجبتك أمسكتها ، وإن كرهتها فارقتها ، وإنا كُنّا نعدُّ هذا سفاحاً (٥٤١) ، على عهد رسول الله ﷺ .

وسئِل عن الرجل الذى طلق ابنة عمه ثم ندم ورغب فيها ، فأراد أن يتزوجها رجل ليحلّها له ؟ فقال : كلاهما زان ، وإن مكثَ عشرين سنة أو نحوها إذا كان يعلم أنه يُريد أن يحلّها .

وسئِل ابن عباس رضى الله عنهما عن طلق امرأته ثلاثاً ثم ندم ؟ فقال : هو عصى الله فأندمه ، وأطاع الشيطان فلم يجعل له مخرجاً .

## \* تحريمُ الفقهاء من التابعين :

قال الترمذى : والعمل على التحريم عند أهل العلم ، منهم عمر وابنه وعثمان ( رضى الله عنهم ) وهو قول الفقهاء من التابعين .

ونقل ابن حجر عن الحسن البصرى أنه قال : إذ همُّ أحدُ الثلاثة بالتحليل فقد أفسد العقد .

وعن النخعى أنه قال : إذا كانت نية أحد الثلاثة الزوج الأول أو الزوج الآخر أو المرأة التحليل : فنكاح الآخر باطل ولا تحل للأول .

وعن ابن المسيب أنه قال : من تزوج امرأة ليحلّها لزوجها الأول لم تحل له .

---

( ٥٤١ ) سفاح : أى : فجور .

## ❖ المَحْرَمُ مِنَ الْأَثْمَةِ :

نقل ابن حجر التحريم عن الإمام مالك والليث وسفيان الثوري وأحمد بن حنبل .  
ونُقل عن أحمد أنه سئل : عمن تزوج امرأة وفي نفسه أن يُحلها للأول ولم تعلم هي  
بذلك ؟ فقال : هو مُحَلل ، وإذا أراد بذلك التحليل فهو ملعون .  
وقد أخذ المحرّمون للتحليل وهم أهل العلم من الصحابة والفقهاء من التابعين  
والأئمة السابقين بإطلاق الأحاديث السابقة .  
وقال الإمام الشافعي : إن التحريم محله إذا شرط التحليل في صلب العقد . أ . هـ .  
كلام ابن حجر .  
فلاحظ كل هذا أخا الإسلام ، وذُكر الغافلين الجاهلين به حتى لا يقعوا في هذا  
المحذور الذي أسأل الله تعالى أن يعافينا منه .... آمين .

## ( ٨٧ ) وَمَا طِينَةُ الْخَبَالِ .. يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟

عن جابر رضى الله عنه أن رجلاً قديم من جيشان - وجيشان من اليمن - فسأل  
رسول الله ﷺ عن شراب يشربونه بأرضهم من الذرة يقال له المذر ؟ فقال رسول  
الله ﷺ : « أو مُسْكِرٌ هو ؟ قال : نعم . قال رسول الله ﷺ : كُلُّ مسكر حرام ، وإن عند  
الله عهداً لمن يشرب المسكر أن يسقيه من طينة الخبال . قالوا : يا رسول الله وما  
طينة الخبال ؟ قال : عرق أهل النار - أو عصارة أهل النار » رواه مسلم والنسائي .  
وروى الشيخان وأبو داود والترمذي والنسائي : « كُلُّ مسكرٍ خمر ، وكل خمر  
حرام » .

وروى أبو داود : « لعن الله الخمر وشاربها وساقبها ومبتاعها(٥٤٢) وبائعها

(٥٤٢) مبتاعها : أى : مشتريها .

وعاصرها ومعتصرها(٥٤٣) وحاملها والمحمولة إليه « رواه ابن ماجة وزاد : « وأكل ثمنها » .

وروى الحاكم : « من رَتَى وشَرِب الخمر نزع الله منه الإيمان كما يخلع الإنسانُ القميصَ من رأسه » .

وروى الطبراني : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يشرب الخمر ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يجلس على مائدة يُشربُ عليها الخمر » .

وروى أحمد بسند رجاله رجال الصحيح : « مدمن الخمر إن مات - أوى : من غير توبة - لقي الله كعابد وثن » .

وروى أحمد واللفظ له والنسائي والبزار والحاكم وصححه : « ثلاثة قد حرم الله تبارك وتعالى عليهم الجنة : مُدمن الخمر ، والعاق ، والديوثُ الذي يُقِرُّ في أهله الخبث » .

وروى الطبراني وابنا خزيمة وحبان في صحيحيهما والبيهقي : « ثلاثة لا يقبل الله لهم صلاة ، ولا تصعد لهم إلى السماء حسنة : العبد الآبق(٥٤٤) حتى يرجع إلى مواليه فيضع يده في أيديهم ، والمرأة الساخط عليها زوجها حتى يرضى ، والسكران حتى يصحو » .

كفانا الله جميعاً شرُّ السكر وأمله ... أمين .



---

(٥٤٣) ومعتصرها : أى : طالب عصرها .

(٥٤٤) الآبق : أى : الهارب من سيده .

## ( ٨٨ ) ما هُوَ البِرُّ ، وما هُوَ الإِثمُ ؟

عن النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ ، وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي نَفْسِكَ وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ » . رواه مسلم .

وعن وابصة بن معبد رضى الله تعالى عنه قال : أتيتُ رسولَ الله ﷺ فقال : « جِئْتُ تَسْأَلُ عَنِ الْبِرِّ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ ، قَالَ : اسْتَقْبَتِ قَلْبَكَ ، الْبِرُّ : مَا اطْمَأْنَنْتَ إِلَيْهِ النَّفْسُ وَاطْمَأْنَانَ إِلَيْهِ الْقَلْبُ ، وَالْإِثْمُ : مَا حَاكَ فِي النَّفْسِ وَتَرَدَّدَ فِي الصَّدْرِ وَإِنْ أَفْتَاكَ النَّاسُ وَافْتَوَكَ » .

حديث حسن رويناه في مسندى الإمامين أحمد بن حنبل والدارمى بإسناد حسن .  
وقد قال الإمام النووي في شرح الأربعين النووية حول قوله ﷺ : « وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي نَفْسِكَ .. » . أى : اختلج وتردد ولم تطمئن النفس إلى فعله ، وفي الحديث دليل على أنه : يجب على الإنسان أن يُراجع قلبه إذا أراد الإقدام على فعل شيء فإن اطمأنت عليه النفس فعله ، وإن لم تطمئن تركه .. ثم يقول : ويُروى أن آدم عليه الصلاة والسلام أوصى بنيه بوصايا منها أنه قال : إذا أردتم فعل شيء فإن اضطربت قلوبكم فلا تفعلوه ، فإنى لما دنوت من أكل الشجرة اضطرب قلبى عند الأكل .

ومنها أنه قال : إذا أردتم فعل شيء فانظروا في عاقبته فإنى لو نظرت في عاقبة الأكل ما أكلت من الشجرة .

ومنها أنه قال : إذا أردتم فعل شيء فاستشروا الأخيار ، فإنى لو استشرت الملائكة لأشاروا على بترك الأكل من الشجرة .

ثم يقول النووي ، حول قوله ﷺ : « .. وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ » لأن الناس قد يلومون الإنسان على أكل الشبهة وعلى أخذها ، وعلى نكاح امرأة قد قيل أنها أرضعت معه ، ولهذا قال ﷺ : « وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ » كيف وقد قيل .. وكذلك الحرام إذا تعاطاه الشخص يكره أن يطلع عليه الناس ، ومثال الحرام : الأكل من مال الغير فإنه يجوز إن كان يتحقق رضاه ، فإن شك في رضاه حرم الأكل .. وكذلك التصرف في الوديعة بغير إذن صاحبها ، فإن الناس إذا اطلعوا على ذلك أنكروه عليه وهو يكره اطلاع الناس على ذلك لأنهم ينكرون عليه .

كما يقول بعد ذلك حول قوله ﷺ : « .. ما حاك في النفس وإن أفتاك الناس وأفتوك » . مثاله : الهدية إذا جاءتك من شخص غالب ماله حرام وترددت النفس في حلها ، وأفتاك المفتى بحل الأكل فإن الفتوى لأتزيل الشبهة ، وكذلك إذا أخبرته امرأة بأنه ارتضع مع فلانة ، فإن المفتى إذا أفتاه بجواز نكاحها لعدم استكمال النصاب<sup>(٥٤٥)</sup> لا تكون الفتوى مزيلة للشبهة بل ينبغى الورع وإن أفتاه الناس .. والله أعلم .

فلاحظ كل هذا أخا الإسلام حتى تكون من أهل البر لا من أهل الإثم ، لأن البر : اسم جامع لكل خير ، والإثم : اسم جامع لكل شر .. فلتكن من أهل الخير لا من أهل الشر .. والله ولي التوفيق .

## ( ٨٩ ) سَلُوهُ لِأَيِّ شَيْءٍ يَصْنَعُ ذَلِكَ ؟

عن عائشة رضی الله عنها أن رسول الله ﷺ بعث رجلاً على سرية<sup>(٥٤٦)</sup> فكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم فيختم بـ ﴿ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ ﴾ فلما<sup>(٥٤٧)</sup> رجعوا ذكروا ذلك لرسول الله ﷺ ، فقال : « سَلُوهُ <sup>(٥٤٨)</sup> لِأَيِّ شَيْءٍ يَصْنَعُ ذَلِكَ ؟ » فسألوه . فقال : لأنها صفة الرحمن<sup>(٥٤٩)</sup> فأنا أحب أن أقرأ بها ، فقال رسول الله ﷺ : « أَخْبَرُوهُ أَنَّ اللهُ تَعَالَى يَحِبُّهُ » . متفق عليه .

ففي هذا الحديث الشريف المتفق عليه يشير الحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه من خلال تساؤله بل وإجابته إلى فضل قراءة ﴿ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ ﴾ كما يشير أيضاً

( ٥٤٥ ) أى : عدد الرضعات .. التي اختلف فيها الفقهاء ...

( ٥٤٦ ) قطعة من الجيش .

( ٥٤٧ ) أى : عادوا من السرية .

( ٥٤٨ ) سألوه ليرتب جزاءه على حسن نيته .

( ٥٤٩ ) لأنها اشتملت على توحيد الله جل وعلا ، وما يجوز في حقه من توجيه الخلق حوائجهم إلى الله

وقصدتهم إياه سبحانه في سائر أمورهم وما يستحيل في حقه من كونه والذاً أو مولوداً .

في نفس الوقت إلى مكانة هذا الرجل الذي يكثر من قراءتها عند الله تبارك وتعالى الذي يحبه لأنه عرف صفته سبحانه وتعالى وأنه الرحمن .. أو لأنه فعل ما يوجب محبة الله عز وجل له وهو محبته لقراءة السورة المتضمنة لصفات الرب جل شأنه ، ومحبة الله للعبد صفة له سبحانه على ما يليق به تقتضى إكرامه وإثابته وتقريبه .

وحتى تعرف أخص الإسلام فضل قراءة ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ إليك كذلك هذه الأحاديث الشريفة :

عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « احشداوا (٥٥٠) فإني سأقرأ عليكم ثلث القرآن » فحشد من حشد (٥٥١) . ثم خرج النبي ﷺ فقراً : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ ثم دخل . فقال بعضنا لبعض : إنا نرى هذا خبراً جاءه من السماء فذلك الذي أدخله ، ثم خرج نبي الله ﷺ فقال : « إني قلت لكم سأقرأ عليكم ثلث القرآن ، ألا إنها تعدل ثلث القرآن » . رواه مسلم والترمذى .

وقد قيل : إن معنى كونها ثلث القرآن إن القرآن مشتمل على ثلاثة مقاصد أساسية : عقائد ، وقصص ، وأحكام ..

﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ متمحضة للعقيدة فهي جزء من ثلاثة أجزاء ، وقيل معناه : أن ثواب قراءتها يضاعف بقدر ثواب قراءة ثلث القرآن بغير تضعيف ، والله أعلم .

وعن أبي الدرداء رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال : « أيعجز أحدكم أن يقرأ في ليلة ثلث القرآن » . قالوا : وكيف يقرأ ثلث القرآن ؟ قال : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ تعدل ثلث القرآن .

وفي رواية قال : إن الله عز وجل جزأ القرآن بثلاثة أجزاء فجعل ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ جزءاً من أجزاء القرآن . رواه مسلم .

وقد ورد بالنسبة للحديث الذى نذكر حوله والذى رواه البخارى ومسلم والنسائى ، فى رواية للبخارى والترمذى عن أنس رضى الله عنه أنه قال فى آخره :

فلما أتاهم النبي ﷺ أخبروه الخبر فقال : « يا فلان ما يمنعك أن تفعل ما يأمرك به أصحابك وما يحملك على لزوم هذه السورة فى كل ركعة ؟ فقال : إني أحبها ، فقال : حُبُّك إياها أدخلك الجنة » .

(٥٥٠) أى : اجتمعوا .

(٥٥١) يعنى : اجتمع من اجتمع .

وقد يسأل الأخ المسلم عن معنى ﴿ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ ﴾ ، فإن المعنى هو أن الله تعالى هو الواحد الأحد الذى لا نظير له ولا وزير ولا نديد ولا شبيه ولا عدل ..  
ولا يطلق هذا اللفظ على أحد فى الإثبات إلا الله عز وجل لأنه الكامل فى جميع صفاته وأفعاله .

و ﴿ اللهُ الصَّمَدُ ﴾ أى : السيد الذى كمل فى سُؤدده ، والشريف الذى قد كمل فى شرفه ، والعظيم الذى كمل فى عظمته ، والحليم الذى قد كمل فى حلمه ، والعليم الذى قد كمل فى علمه ، والحكيم الذى قد كمل فى حكمته ، وهو الذى قد كمل فى أنواع الشرف والسُؤدد ، وهو الله سبحانه هذه صفته لا تنبغى إلا له .

وقال الربيع بن أنس : هو الذى لم يلد ولم يولد .

وقال الشعبي : هو الذى لا يأكل الطعام ولا يشرب الشراب .

وقال عبد الله بن بريده : ﴿ الصَّمَدُ ﴾ نور يتلألأ

وقال الحسن وقتادة : هو الباقي بعد خلقه .

وقال الحسن أيضاً : ﴿ الصَّمَدُ ﴾ الحى القيوم الذى لا زوال له .

وقال مجاهد فى معنى : ﴿ ولم يكن له كُفُوًا أحد ﴾ أى : لا صاحبة له ، ولكن اللفظ أعم من ذلك ، فهو نقى للكفؤ كله ، ومعنى الكفؤ المكافئ ، أى : ليس له من خلقه نظير يساميه أو قريب يدانيه .

فافهم كل هذا أخا الإسلام حتى تحرص على أن تكون منتفعًا بكل هذا الخير الذى وقفت عليه .. والله ولى التوفيق .



## ( ٩٠ ) أَقْتَلْتُهُ بَعْدَ مَا قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ؟

عن أسامة بن زيد رضى الله عنهما قال : بعثنا رسول الله ﷺ إلى الحُرَقَةِ (٥٥٢) من جُهَيْنَةَ فصبَحنا القومَ على مِيَاهِهِمْ ولِحِقْتُ أَنَا وَرَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ رَجُلًا مِنْهُمْ فَلَمَّا غَشِينَاهُ (٥٥٣) قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، فَكَفَّ عَنْهُ الْأَنْصَارُ وَطَعْنَتْهُ بِرُمْحِي حَتَّى قَتَلْتُهُ فَلَمَّا قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ بَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ لِي (٥٥٤) : « يَا أُسَامَةَ أَقْتَلْتُهُ بَعْدَمَا قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ؟ » (٥٥٥) قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّمَا كَانَ مُتَعَوِّدًا . فَقَالَ « أَقْتَلْتُهُ بَعْدَمَا قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ؟ ! فَمَا زَالَ يُكْرِرُهَا عَلَيَّ حَتَّى تَمَنَيْتُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ أَسْلَمْتُ قَبْلَ ذَلِكَ الْيَوْمِ » . متفق عليه .

وفي رواية : فقال رسول الله ﷺ : « أَقَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَقَتَلْتَهُ ؟ قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّمَا قَالَهَا خَوْفًا مِنَ السَّلَاحِ . قَالَ « أَفَلَا شَقَقْتَ عَنْ قَلْبِهِ حَتَّى تَعْلَمَ أَقَالَهَا أَمْ لَا ؟ » فَمَا زَالَ يُكْرِرُهَا حَتَّى تَمَنَيْتُ أَنِّي أَسْلَمْتُ يَوْمئِذٍ .

وعن جُنْدُبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعَثَ بَعْثًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَى قَوْمٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَأَنْهُمْ التَّقْوَا ، فَكَانَ رَجُلٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ إِذَا شَاءَ أَنْ يَقْصِدَ إِلَى رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ قَصَدَ لَهُ فَقْتَلَهُ ، وَأَنَّ رَجُلًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ قَصَدَ غَقْلَتَهُ وَكُنَّا نَتَحَدَّثُ أَنَّهُ أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ فَلَمَّا رَفَعَ عَلَيْهِ السَّيْفَ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، فَقَتَلَهُ ، فَجَاءَ الْبَشِيرُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَسَأَلَهُ وَأَخْبَرَهُ حَتَّى أَخْبَرَهُ خَيْرَ الرَّجُلِ كَيْفَ صَنَعَ ، فَدَعَا فَمَسَأَلَهُ ؟ فَقَالَ : « وَلِمَ قَتَلْتَهُ ؟ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أُوجِعَ (٥٥٦) فِي الْمُسْلِمِينَ وَقَتَلَ فُلَانًا وَفُلَانًا - وَسَمَّى لَهُ نَفْرًا (٥٥٧) - وَإِنِّي حَمَلْتُ عَلَيْهِ ، فَلَمَّا رَأَى السَّيْفَ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ . قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : أَقْتَلْتَهُ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : فَكَيْفَ تَصْنَعُ بِإِلَهِ الْإِلَهِ إِذَا جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ (٥٥٨) ؟ قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ اسْتَغْفِرُ لِي . قَالَ : وَكَيْفَ تَصْنَعُ بِإِلَهِ الْإِلَهِ إِذَا

( ٥٥٢ ) ( الحُرَقَةُ ) بضم الحاء المهملة وفتح الراء : بطن من جهينة القبيلة المعروفة .

( ٥٥٣ ) أى : قربنا منه .

( ٥٥٤ ) منكرًا ما فعلته وموبخًا عليه .

( ٥٥٥ ) لأن لا إله إلا الله تعصم قائلها وتجعل دمه محفوظًا .

( ٥٥٦ ) أوجع أى : أوقع الوجع والنكاية .

( ٥٥٧ ) ( النفر ) : من ثلاثة إلى عشرة .

( ٥٥٨ ) أى : من يشفع لك إذا جاء بكلمة التوحيد ( لا إله إلا الله محمد رسول الله ) .

جاءت يوم القيامة ؟ فجعل لا يزيدُ على أن يقول : كيف تصنعُ بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة . « . رواه مسلم .

هذا وإذا كان لي أن أعلق على ما جاء في هذا الحديث الصحيح ، أو في هاتين الروايتين الصحيحتين على لسان الرسول ﷺ لأسامة بن زيد بعد أن علم أنه قتل المشرك بعد أن قال ( لا إله إلا الله ) ، وهو : ( أقتلته ؟ ) قال : نعم ، قال : ( فكيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة ) .. وعندما قال له أسامة مبرراً ما فعله : ( إنما قالها خوفاً من السلاح ) قال له في تعنيف شديد وفي أسلوب استنكارى : « أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها أم لا ؟ ! » .

يقول أسامة : ( فما زال يكررها حتى تمنيت أنى أسلمت يومئذ ) .

فإن هذا يشير إلى أن ( لا إله إلا الله ) تعصم قائلها وتجعل دمه محفوظاً : لأنها كلمة الإسلام ، وهى مفتاح دار السلام ، وهى كلمة التقوى ، وهى العروة الوثقى ، وهى التى قامت بها الأرض والسموات ، وقطر الله عليها جميع مخلوقاته ، ولأجلها جردت سيوف الجهاد ، وهى محض حق الله على العباد ، وبها انفصلت دار الكفر من دار الإيمان ، وتميزت دار النعيم من دار الشقاء والهوان ، وهى العمود الحامل للفرض والسنة ، ومن كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة ، وهى الكلمة العاصمة للدم والمال ، والمنجية من عذاب القبر وعذاب النار ، وهى المنشور الذى لا يدخل الجنة أحد إلا به ، والحبل الذى لا يصل إلى الله إلا من تعلق بسببه ، وبها انقسم الناس إلى شقى وسعيد ، ومقبول وطريد ، فهى وإن كانت كلمة قيدت بالقيود الثقال (٥٥٩) . هـ .

وعن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم قال : « أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنْ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ : فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِحَقِّ الْإِسْلَامِ وَحَسَابِهِمْ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى » . رواه البخارى ومسلم .

يعنى أن من أتى بشهادتين ، وأقام الصلاة وأتى الزكاة ، عصم دمه وماله ، ثم إن كان فعل ذلك بنية خالصة صالحة فهو مؤمن ، وإن فعله تقيّة وخوفاً من السيف كالمنافق فحسابه على الله وهو متولى السرائر ، وكذلك من صلى بغير وضوء أو غسل من

( ٥٥٩ ) كما جاء في الرسالة الثامنة من « مجموعة التوحيد » لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية .

الجنابة أو أكل في بيته وادعى أنه صائم : يُقبل منه وحسابه على الله عز وجل ، والله أعلم (٥٦٠).

وأحب أن يقف الأخ المسلم كذلك على :

### ❖ حكم النطق بكلمة التوحيد (٥٦١):

فقد قال في الجزء الأول من ( الدين الخالص ) : يجب على من نشأ مؤمناً أن يذكرها في العمر مرة نأوياً أداء الواجب ، وإلا فهو عاصٍ . ثم ينبغي له الإكثار من ذكرها عارفاً معناها مستحضراً ما احتوت عليه لينتفع بذكرها دنيا وأخرى ، فتنفجر ينابيع الحكيم من قلبه ، ويرى لها من الأسرار والعجائب إن شاء الله تعالى ما لا يدخل تحت حصر .

( وأما الكافر ) الذي يريد الدخول في الإسلام ، فذكره لها ليس شرطاً في صحة إيمانه ولا جزءاً من مفهومه ، وإنما جعل الشرع النطق بالشهادتين ( شرطاً ) لازماً لإجراء الأحكام الدنيوية على المؤمن كالصلاة خلفه ، والصلاة عليه ، ودفنه في مقابر المسلمين ، وتزوجه مسلمة ( فإذا لم ينطق ) بهما لعذر كالخرس ، أو لم يتمكن من النطق بهما بأن مات عقب إيمانه بقلبه ، أو اتفق له عدم النطق بهما بعد الإيمان بقلبه : ( فهو مؤمن ) عند الله وناجٍ في الآخرة ( وأما من امتنع ) عن النطق بهما عناداً بعد أن عُرض عليه ذلك : ( فهو كافر ) والعيان بالله تعالى ، ولا عبرة بتصديقه القلبي مع هذا الامتناع .

فلاحظ كل هذا أخوا الإسلام حتى تفهم لماذا قال الرسول ﷺ لأسمامة بن زيد رضى الله عنه - وهو من هو - ما وقفت عليه ، حتى يكون درساً لك ولكل فرد من أفراد الأمة المحمدية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ... لأنه لا مُحاباة ولا مُجاملة في الإسلام .

نسأل الله تعالى العفو والعافية ... اللهم آمين .

( ٥٦٠ ) كما جاء في الأربعين النووية في شرح الحديث الثامن .

( ٥٦١ ) كما جاء في الجزء الأول من ( الدين الخالص ) صفحة ١٢٨ .

## ( ٩١ ) أَتَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا رُبْعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ ؟

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : كُنَّا مع رسول الله ﷺ في قُبَّةٍ نحوًا من أربعين فقال : « أَتَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا رُبْعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ ؟ » .

قلنا : نعم .

قال : « أَتَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الْجَنَّةِ ؟ » .

قلنا : نعم .

قال : « وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنِّي لأرجو أن تكونوا نصفَ أهل الجنة ، وذلك أن الجنة لا يدخلها إلا نفسٌ مُسلمةٌ ، وما أنتم في أهل الشرك إلا كالشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود ، أو كالشعرة السوداء في جلد الثور الأحمر » متفق عليه .

فكن أخا الإسلام منتفعًا بهذا الحديث الشريف الصحيح الذي وجَّهه الحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه فيه سؤالاً إلى أصحابه الفضلاء ، قال فيه : ( أتَرْضَوْنَ أَنْ تكونوا رُبْعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ ؟ ) فقالوا : نعم . ثم قال لهم : ( أتَرْضَوْنَ أَنْ تكونوا ثُلُثَ أَهْلِ الْجَنَّةِ ؟ ) فقالوا : نعم .. ثم بعد أن أجابوه عن سؤاله قال لهم مبشراً إياهم وإيانا بتلك البشارة أو البشريات العظيمة التي قال فيها وهو يُقسم بالذي بيده : ( والذي نفس محمد بيده إنى لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة ، وذلك أن الجنة لا يدخلها إلا نفس مسلمة ، وما أنتم في أهل الشرك إلا كالشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود ، أو كالشعرة السوداء في جلد الثور الأحمر ) .

ولهذا ، حسبك أخا الإسلام أن تستبشر بهذا .. وأن تعمل دائماً وأبداً على أن تكون من أهل التوحيد الخالص حتى تكون إن شاء الله من أهل الجنة لا من أهل النار .. فقد قرأت في رواية للطبري أن الله تعالى قال للنار : « لك كل مشركٍ ومشرِكَةٍ وكافرٍ وكافرةٍ وكل خبيثٍ وخبيثةٍ وكل جبارٍ لا يؤمن بيوم الحساب .. » .

هذا مع ملاحظة أن الجنة ليست إلا للموحدين الذين يعبدون الله تعالى وحده عبادة خالصة لوجهه سبحانه وتعالى ..

وليكن هذا هو أهم ما ينبغي عليك أن تنتفع به من هذا الحديث الصحيح .. وليكن

فهمك أيضًا من خلاله أن الأمة المحمدية هي خير أمة أخرجت للناس .. وأن الله تعالى سيرفع قدر هذه الأمة في الآخرة كما رفع من قدرها في الدنيا فجعلها بهذا الدين الحنيف أفضل أمة في مصاف العالمين .. وإلى هذا أشار أحدهم في قوله :

ومما زادني شرفًا وتيها      وكدتُ باخمصى أظأ الثُريَّا  
دخولي تحت قولك يا عبادي      وأن صيرتُ أحمد لي نبيًّا

وإن شاء الله تعالى سيتحقق رجاء الرسول ﷺ فينا وسنكون نحن المسلمين إن شاء الله نصف أهل الجنة الذين نسال الله تعالى أن يجعلنا جميعًا منهم ... اللهم آمين .

## ( ٩٢ ) مَا جَاءَ بِكَ يَا زُرُّ ؟

عن زُرِّ بْنِ حُبَيْشٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : أَتَيْتُ صَفْوَانَ بْنَ عَسَّالٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَسْأَلُهُ عَنِ الْمَسْحِ عَلَى الْخُفَّيْنِ ، فَقَالَ : « مَا جَاءَ بِكَ ( ٥٦٢ ) يَا زُرُّ ؟ » .  
فقلتُ : ابْتِغَاءَ الْعِلْمِ .

فقال : إِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَضَعُ أَجْنِحَتَهَا لِطَالِبِ الْعِلْمِ رِضَاءً بِمَا يَطْلُبُ .

فقلتُ : إِنَّهُ قَدْ حَكَ ( ٥٦٣ ) فِي صَدْرِي الْمَسْحَ عَلَى الْخُفَّيْنِ بَعْدَ الْغَائِطِ وَالْبَوْلِ ، وَكُنْتُ أَمْرًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ فَجِئْتُ أَسْأَلُكَ هَلْ سَمِعْتَهُ يَذْكُرُ فِي ذَلِكَ شَيْئًا ؟ .

قَالَ : نَعَمْ كَانَ يَأْمُرُنَا إِذَا كُنَّا سَفَرًا - أَوْ مَسَافِرِينَ - أَنْ لَا نَنْزِعَ خِفَافَنَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وَلِيَالِيَهُنَّ إِلَّا مِنْ جَنَابَةٍ ، لَكِنْ مِنْ غَائِطٍ وَبَوْلٍ وَنَوْمٍ .

فقلتُ : هَلْ سَمِعْتَهُ يَذْكُرُ فِي الْهَوَى شَيْئًا ؟

---

( ٥٦٢ ) أي : ما الذي حملك على المجيء ؟

( ٥٦٣ ) أثر .

قال : نعم كُنَّا مع رسول الله ﷺ في سَفَرٍ فَبِينَا نَحْنُ عِنْدَهُ إِذْ نَادَاهُ أَعْرَابِيٌّ بِصَوْتِ جَهْوَرِيٍّ (٥٦٤) : يا محمد ، فأجابه رسول الله ﷺ نَحْوًا مِنْ صَوْتِهِ هَأْوُمٌ (٥٦٥) ، فَقُلْتُ لَهُ : وَيْحَكَ أَغْضَضُ (٥٦٦) مِنْ صَوْتِكَ فَإِنَّكَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ وَقَدْ نَهَيْتَ عَنْ هَذَا ! فَقَالَ : وَاللَّهِ لَا أَغْضَضُ . قَالَ الْأَعْرَابِيُّ : الْمَرْءُ يُجِيبُ الْقَوْمَ وَمَا يَلْحَقُ (٥٦٧) بِهِمْ ؟ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » فَمَا زَالَ يُحَدِّثُنَا حَتَّى ذَكَرَ بَابًا مِنَ الْمَغْرِبِ ، مَسِيرَةَ عَرْضِهِ أَوْ يَسِيرَ الرَّكَابِ فِي عَرْضِهِ أَرْبَعِينَ أَوْ سَبْعِينَ عَامًا . قَالَ سَفِيَانُ أَحَدُ الرِّوَاةِ : قَبْلَ الشَّمْسِ خَلَقَهُ اللَّهُ تَعَالَى يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مَفْتُوحًا لِلتُّوبَةِ لَا يُغْلَقُ حَتَّى تَطْلُعَ (٥٦٨) الشَّمْسُ مِنْهُ .

رواه الترمذى وغيره وقال : حديث حسن صحيح .

ففى هذا الحديث الشريف يشير النبى ﷺ إلى فضل العلم وطالبه .. وأن طالب العلم تضع الملائكة أجنحتها له رِضَاءً بما يطلب .. وقد ورد بالإضافة إلى هذا الحديث :

عن أبى الدرداء رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَبْتَغِي فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنَحَتَهَا رِضَاءً لِطَالِبِ الْعِلْمِ ، وَإِنَّ الْعَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ حَتَّى الْحَيَاتَانِ فِي الْمَاءِ ، وَفَضَلَ الْعَالِمَ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ ، إِنْ الْعُلَمَاءُ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ ، وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُورَثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا ، إِنَّمَا وَرَثُوا الْعِلْمَ ، فَمَنْ أَخَذَ بِهِ أَخَذَ بِحِظِّ وَافِرٍ » (٥٦٩)

رواه أبو داود والترمذى وله اللفظ .

وقد قرأت أن العقل والعلم اختلفا .. فقال العقل : أنا أفضل لأن الله عرّف بى ، وقال العلم : أنا أفضل لأن الله اتصف بى فى الكتاب . فوافقه العقل واعترف له بالفضل ، ونظم بعضهم ذلك فقال :

( ٥٦٤ ) أى : مرتفع .

( ٥٦٥ ) أى : خذوا .

( ٥٦٦ ) أى : اخفض .

( ٥٦٧ ) أى إلى الآن لم يلحق بهم فى الاعمال وطرق الكمال .

( ٥٦٨ ) أى : من المغرب .

( ٥٦٩ ) وقد سبق التذكير بهذا الحديث فى شرح فتوى سابقة ، وقد أعيد ذكره هنا لتأكيد معناه فى

موقعه ..

علم العليم وعقل العاقل اختلفا  
فالعلم قال : أنا أحرزت غايته  
فأفصح العلم إصاحاً وقال له  
فبان للعقل أن العلم سيده  
من ذا الذى منهما قد أحرز الشرفا  
والعقل قال : أنا الرحمن بى عُرفا  
بايتنا الله فى فرقانه اتصفا  
فقبل العقل رأس العلم وانصرفا

هذا ، وإذا كان الحديث قد أشار إلى بعض الأحكام الفقهية المتعلقة بالمسح على الخفين بعد الغائط والبول .. وما يتعلق بهذا الموضوع بالنسبة للمسافر ... إلخ .. فإن هذا معناه أنه ينبغى على الأخ المسلم أن يكون متفقهاً فى الدين .. ففى الحديث : « من يُرد الله به خيراً يفقهه فى الدين .. » (٥٧٠) ...

وإذا كان الرسول ﷺ قد قال فى ختام الحديث : « المرء مع من أحب يوم القيامة » فإننى أرجو أن تعمل إن شاء الله على أن تكون مع الحبيب المصطفى ﷺ يوم القيامة .. فقد ورد فى الحديث : « من أحيا سنتى فقد أحببني ، ومن أحببني كان معي فى الجنة » .

والله ولى التوفيق ،،

\*\*\*

---

( ٥٧٠ ) من حديث رواه البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى .

## ( ٩٣ ) يا رسول الله ... من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة ؟ ....

عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قلت يا رسول الله ، من أسعدُ الناسِ بِشِفاعَتِكَ يومَ القيامةِ (٥٧١) ؟ قال رسول الله ﷺ : « لَقَدْ ظَنَنْتُ يا ابا هريرةَ أن لا يسألَنِي عن هذا الحديثِ أَحَدٌ أوَّلَ مِنكَ لِمَا رَأَيْتُ مِن جِرْصِكَ على الحديثِ : أسعدُ الناسِ بِشِفاعَتِي يومَ القيامةِ مَنْ قال : لا إلهَ إلاَّ اللهُ خالِصًا من قَلْبِهِ أو نَفْسِهِ (٥٧٢) » رواه البخارى .

ففى هذا الحديث الشريف الصحيح الذى أجاب فيه الحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه على استفسار سيدنا أبى هريرة رضى الله عنه - الذى وُقِّقَ فيه - يشير إلى عِظَمِ قول : ( لا إله إلا الله ) التى هى (٥٧٢) : كلمة التوحيد التى بعث الله من أجلها الرسل وأنزل الكتب ، وجعلها فارقة بين الإيمان والكفر ، وبين أهل السعادة وأهل الشقاوة ، فهى الأساس الذى لا يقبل الله من أحد عملاً إلا إذا بُنيَ عليها ، وهى القطب الذى لا تدور رَحَى الشريعة إلا به ، وهى زبدة رسالات الرسل ، وخلاصة دعوتهم ، ومُقْتَنَحِ كلامهم .. فما أُرسِلَ أحد منهم إلى قومه إلا كان التوحيد أول ما يدعوهم إليه ، وهى كلمة التقوى التى ألزمها الله جزبه وأوليائه وحرَمَ منها أعداءه . وقد جَمَعَت هذه الكلمة العظيمة التى هى عُنْوان الإسلام بين النفى والإثبات ، فنفت بصدرها الإلهية لله وحده ، ولهذا قالوا فى تفسيرها : لا معبود بحق فى الوجود كله إلا الله . فهى فى معنى قول مؤسس الحنيفية إبراهيم خليل الرحمن لقومه : ﴿ إِنِّى بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ إِلاَّ الَّذِى فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴾ (٥٧٤) .

( ٥٧١ ) يعنى من أحق الناس وأولاهم وأكثرهم سعادة بشفاعتك التى ستكون لأهل الكبائر من أمك ؟

( ٥٧٢ ) يعنى : من قالها بلسانه مع اعتقاد القلب لضمونها ومع العمل بمقتضاها فنكون عبادته كلها لله .

( ٥٧٣ ) كما قال فضيلة الشيخ خليل هراس رحمه الله تعالى فى هامش ( الترغيب والترهيب ) مجلد ٢ ص ٦٨٩ .

( ٥٧٤ ) الزخرف : من الآية ٢٦ ، ٢٧ .

وعلى هذا ، فإنه ينبغي على المؤمن الصادق عندما يقول : ( لا إله إلا الله ) أن يفهم معناها ، وأن يؤكد هذا المعنى .. بأن لا يعبد إلا الله ، ولا يتوكل إلا على الله ، ولا يعتمد إلا على الله ، ولا يسأل غير الله ، ولا يخاف إلا من الله ، ولا ينحني إلا لله .. لأنه يوم أن يكون هكذا إن شاء الله ، فإنه سيكون من أهل التوحيد الخالص .. الذى لا فلاح ولا نجاة فى الدنيا والآخرة إلا به .

ولهذا ، فقد ورد فى السنة الشريفة الترغيب فى قولها ، والإشارة إلى فضلها :

فعن عبادة بن الصامت رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال : « من شهد (٥٧٥) أن لا إله إلا الله وحده لا شريك (٥٧٦) له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وأن عيسى عبد الله ورسوله (٥٧٧) ، وكلمته ألقاها إلى مريم (٥٧٨) ، وروح منه ، والجنة حق ، والنار حق ، أدخله الله الجنة على ما كان من عمل (٥٧٩) » زاد عبادة : « من أبواب الجنة الثمانية أيها شاء » (٥٨٠) رواه البخارى واللفظ له ، ومسلم .

وفى رواية لمسلم والترمذى : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من شهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله حرم الله عليه النار » (٥٨١) .

وعن أنس رضى الله عنه أن النبي ﷺ ، ومعاذٌ زديقه على الرُّحْل (٥٨٢) . قال : « يا معاذُ بنِ جبَلٍ ؟ » قال : لبيك يا رسول الله وسعديك (٥٨٣) ثلاثاً .

قال : « ما من أحدٍ يشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله صدقاً من قلبه (٥٨٤) إلا حرمه الله على النار » .

( ٥٧٥ ) أى : أقر واعترف بلسانه مع العلم بما يشهد به واعتقاده لضمونه .

( ٥٧٦ ) تأكيد لضمون كلمة التوحيد لتفى كل شائبة شرك .

( ٥٧٧ ) أى : ليس إلهاً ولا ابن إله كما تزعم النصارى .

( ٥٧٨ ) أى بكلمة .. كن التى ألقاها الله إلى مريم حين نفخ جبريل فى درعها ..

( ٥٧٩ ) يعنى : على حسب عمله فتكون درجته فى الجنة على قدر ذلك ، والمراد : أدخله الله الجنة أيًا كان عمله .

( ٥٨٠ ) يعنى : أنها تفتح له كلها فيدخل من أيها أراد .

( ٥٨١ ) أى : جعلها حراماً عليه فلا يدخلها .

( ٥٨٢ ) أى : رحل البعير وهو أصغر من القتب .. والمعنى أنه كان يركب خلفه على البعير .

( ٥٨٣ ) أى : إجابة بعد إجابة وإسعاداً بعد إسعاد ، والمعنى : أنا سامع مُلَبّ مطيع .

( ٥٨٤ ) أى : صادقاً فى شهادته مُخلصاً فيها .

قال يا رسول الله ، أفلا أُخْبِرُ بِهِ النَّاسَ فَيَسْتَبْشِرُوا ؟  
 قال : « إِذَا يَتَكَلَّمُوا » (٥٨٥) ، وأخبر بها مُعَاذٌ عِنْدَ مَوْتِهِ تَأْتِمًا (٥٨٦) .  
 رواه البخارى ومسلم .

وَكُلُّ هَذَا يَقْتَضِي - لِكَيْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ وَيَنْجُو مِنَ النَّارِ - أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَرَائِضِ ،  
 وَيَجْتَنِبَ الْكِبَائِرَ .. فَإِنَّ لَمْ يَأْتِ بِالْفَرَائِضِ ، وَلَمْ يَجْتَنِبِ الْكِبَائِرَ لَمْ يَمْنَعَهُ التَّلَفُظُ بِكَلِمَةِ  
 التَّوْحِيدِ مِنْ دُخُولِ النَّارِ .. ( وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ ) .

وهذا ، هو المعنى المشار إليه في الحديث الذى :

رُوِيَ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مَنْ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا  
 اللَّهُ مُخْلِصًا (٥٨٧) دَخَلَ الْجَنَّةَ » قِيلَ : وَمَا إِخْلَاصُهَا (٥٨٨) ؟ قَالَ : « أَنْ تَحْجِزَهُ عَنِ  
 مَحَارِمِ اللَّهِ » (٥٨٩) رواه الطبرانى فى الأوسط ، وفى الكبير إلا أنه قال : « أَنْ تَحْجِزَهُ عَمَّا  
 حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ » .

وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه ، عن النبى ﷺ أنه قال : « قال موسى عليه  
 السلام : يارب عَلِّمْنِي شَيْئًا أَذْكُرُكَ بِهِ ، وَأَدْعُوكَ بِهِ ؟ قَالَ : « قُلْ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ » قَالَ :  
 يارب كُلُّ عِبَادِكَ يَقُولُ هَذَا ؟ قَالَ : « قُلْ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ » قَالَ : إِنَّمَا أُرِيدُ شَيْئًا تَخْصُنِي  
 بِهِ ؟ قَالَ : « يَا مُوسَى لَوْ أَنَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ (٥٩٠) وَالْأَرْضِينَ السَّبْعَ فِي كَفَّةٍ (٥٩١) ،  
 وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فِي كَفَّةٍ : مَالَتْ بِهِمْ (٥٩٢) لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ » . رواه النسائى وابن حبان فى  
 صحيحه والحاكم ، كلهم من طريق دراج عن أبى الهيثم عنه ، وقال الحاكم : صحيح  
 الإسناد .

فعلى الأخ المسلم أن يلاحظ كل هذا ، حتى يكثر من قول لا إله إلا الله .. مع اجتنابه

(٥٨٥) أى : يفترون بذلك ويتركون العمل .

(٥٨٦) أى : خروجاً من إثم كتمان العلم .

(٥٨٧) أى : فى قولها بأن يكون معتقداً لمعناها وإلا كان منافقاً ..

(٥٨٨) يعنى : وما علامة الإخلاص فيها ؟

(٥٨٩) يعنى : أن تمنعه وتكفه عن ارتكاب المعاصى وغشيان الفجور .

(٥٩٠) وفى بعض الروايات بزيادة (وعامرهن غيرى) .

(٥٩١) يعنى : فى كفة ميزان .

(٥٩٢) يعنى : رجحت وثقلت .

لكل محارم الله .. وحتى يكون بهذا كذلك مجدداً لإيمانه (٥٩٣) .. وهو يسأل الله تبارك معنا أن يُحيينا ويُميتنا ويَبْعَثَنَا على قول : ( لا إله إلا الله ) اللهم آمين ..

## ( ٩٤ ) مَنْ هُمْ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ .. يَارَسُولَ اللَّهِ ؟

عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « إِنْ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ نَاسًا مَا هُمْ بِأَنْبِيَاءٍ وَلَا شُهَدَاءٍ يَغْبِطُهُمْ (٥٩٤) الْأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ بِمَكَانِهِمْ مِنْ اللَّهِ » . قالوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ فَتُخْبِرُنَا مَنْ هُمْ ؟ قَالَ : « هُمْ قَوْمٌ تَحَابُّوا بِرُوحِ اللَّهِ (٥٩٥) عَلَى غَيْرِ أَرْحَامٍ بَيْنَهُمْ وَلَا أَمْوَالٍ يَتَعَاطَوْنَهَا ، فَوَاللَّهِ إِنْ وَجَّهَهُمْ لِنُورٍ ، وَإِنَّهُمْ لَعَلَى نُورٍ ، وَلَا يَخَافُونَ إِذَا خَافَ النَّاسُ » . وَقَرَأَ هَذِهِ آيَةَ : ﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (٥٩٦) . رواه أبو داود .

ففى هذا الحديث الشريف يشير النبى صلوات الله وسلامه عليه إلى ناس من عباد الله تعالى ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء بمكانهم من الله .. وعندما يُسأل النبى ﷺ : من هم ؟ يقول صلوات الله وسلامه عليه : « هم قوم تحابوا بروح الله تعالى على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها » . ثم يُقسم فيقول : « فوالله إن وجوههم لنور ، وإنهم لعلى نور ، ولا يخافون إذا خاف الناس » . ثم بعد ذلك يتلو آية كريمة يكشف الستار بها عن نوعية هؤلاء الناس الذين فازوا بهذه الدرجة العظيمة بسبب هذا الحب الخالص لله وفى الله ، فيقول : ﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ .

( ٥٩٣ ) كما جاء فى نص حديث رواه أحمد والطبرانى ، وإسناد أحمد حسن .

( ٥٩٤ ) الغبطة : تمنى مثل ما للغير من غير تمنى زواله .

( ٥٩٥ ) بروح الله : أى القرآن ، أى : تحابوا بواسطته ، فهو طريق التحاب . ففى هذا الحديث أن ولي

الله هو الناصر لدينه العامل بكتاب ربه وسنة رسوله ﷺ .

( ٥٩٦ ) سورة يونس : الآية ٦٢ .

هذا ، وإذا كان الحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه قد أكد حديثه بهذه الآية الكريمة التي تحدد نوعية هؤلاء الناس ، وأنهم أولياء الله : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾ ، كما يقول الله تعالى بعد ذلك في الآية التي تليها ، ثم يقول في الآية الثالثة ﴿ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ﴾ أى : لهم البشارة من الله في الدنيا ، بالرؤيا الصالحة ، وتبشير الملائكة لهم عند قبض أرواحهم برحمة الله ورضوانه ، وفي الآخرة أى : في الجنة ، وقيل : المراد بالآخرة هنا القبر لأنه أول منازل الآخرة ، وفيه يُبَشِّرُ المؤمن برضوان الله عند سؤال الملكين ﴿ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ﴾ أى : لا خُلف لوعده الله ولا تغيير ﴿ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (٥٩٧) أى : ذلك هو الظفر العظيم .

فلتكن أخت الإسلام من أولياء الله الذين آمنوا وكانوا يتقون .. حتى تفوز بهذا الفوز العظيم .

واحذر أن تكون من أديعاء الولاية الذين لا ولاية لهم عند الله تعالى بسبب بُعدهم عن أخلاق المؤمنين والمتقين ، والعياذ بالله تعالى منهم ومن أمثالهم من أصحاب المرقعات (٥٩٨) الذين أساءوا إلى الدين وأولياء الله الصالحين .

## ( ٩٥ ) متى الساعة .. يارسول الله ؟

عن أنس رضى الله عنه : أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ : متى الساعة ؟ قال : « وما أعددت لها ؟ قال : لا شيء إلا أنى أحبُّ الله ورسوله . قال : أنت مع من أحببت » .

قال أنس : فما فرحنا بشيءٍ فرحنا بقول النبي ﷺ : « أنت مع من أحببت » .

قال أنس : فأنا أحبُّ النبي ﷺ وأبا بكرٍ وعمرَ ، وأرجو أن أكون معهم بحبى إياهم .

رواه البخارى ومسلم .

(٥٩٧) سورة يونس الآية ٦٢ - ٦٤ .

(٥٩٨) أى : من المتصوفة الذين يلبسون المرقعات بدعوى أنهم من الزهاد ، أو من الاتقياء ، والصوقية الصحيحة منهم براء .

ففى هذا الحديث الشريف الصحيح يجيب النبى ﷺ عن هذا السؤال الذى وُجِّه إليه من جانب أعرابى ، وهو : ( متى الساعة ؟ ) بأسلوبه الحكيم الذى يشير إلى ضرورة أن يكون هناك انشغال من جانب العبد الصالح بما يضمن له السلامة فى يوم القيامة ، وهذا هو الأهم من الانشغال بموعدها .. ولهذا قال لهذا الأعرابى الذى سأله : ( ما أعددت لها ؟ ) أى حتى تكون متعجلاً وقتها ، أو حتى تسأل عنها ، إذ هى زمن الجزاء ويوم الدين .

قال العاقولى : وقوله : ( ما أعددت لها ؟ ) أى : ما لك ولها ، إنما يهتك التزود لها والعمل بما ينفعك فيها ، فطرح الرجل ذكر أعماله لأنه كان لا يرى لها قدرًا ، ونظر إلى ما فى قلبه من مخصوص محبة الله سبحانه ورسوله فقدمه بين يديه فقال : ( حب الله ورسوله ) والمراد من حب الإنسان لله ورسوله طاعتهما والانقياد لأحكامهما ، فقال له النبى صلوات الله وسلامه عليه : ( أنت مع من أحببت ) ، واللفظ عام لكون كل محب مع محبوبه من خير أو شر ، ومعية الله مع الإنسان بالنصر والإعانة والتوفيق .

وفى رواية للبخارى ومسلم عن أنس أيضًا قال الأعرابى لرسول الله ﷺ : « ما أعددت لها من كثير صوم ولا صلاة ولا صدقة ولكنى أحب الله ورسوله » . فقال له صلوات الله وسلامه عليه : « فأنت مع من أحببت » .

وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال : « جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله كيف تقول فى رجل أحب قومًا ولم يلحق بهم ؟ فقال رسول الله ﷺ : المرء مع من أحب » . متفق عليه .

فلتكن أخوا الإسلام منتفعًا بهذا الخير الذى أشار إليه الرسول صلوات الله وسلامه عليه حتى تعمل على أن تكون من الناجين يوم القيامة بما ستقدم من أعمال صالحة خالصة لوجه الله ، وبحبك لله ورسوله عسى أن تفوز بشرف معية الله تعالى لك ، وعسى أن تفوز كذلك بشرف صحبتك لرسول الله ﷺ الذى ورد عنه أنه قال : « من أحيا سنتى فقد أحبنى ، ومن أحببنى كان معى فى الجنة » (٥٩٩) .

والله ولى التوفيق .

---

( ٥٩٩ ) وقد سبق التذكير بهذا الحديث فى شرح فتوى سابقة .. وأعيد ذكره هنا لتأكيد معناه فى موقعه ..

## ( ٩٦ ) أَاعَلَمْتَهُ .. أَنْكَ تُحِبُّهُ ؟

عن أنس رضى الله عنه أن رجلاً كان عند النبى ﷺ فَمَرَّ رَجُلٌ بِهِ فَقَالَ : يارسول الله إِنِّى لَأَحِبُّ هَذَا . فقال النبى ﷺ : « أَاعَلَمْتَهُ ؟ قَالَ : لا ، قَالَ : أَاعَلِمْتَهُ (٦٠٠) فَلَحِقَهُ فَقَالَ : إِنِّى أَحِبُّكَ فى الله . فقال : أَحَبُّكَ الله الذى أَحَبَّبْتَنى له » . رواه أبو داود بإسناد صحيح .

وعن أبى كُرَيْمَةَ المَقْدَادِ بن معد يكرب رضى الله عنه عن النبى ﷺ قَالَ : « إِذَا أَحَبَّ الرَّجُلُ أَخَاهُ (٦٠١) فَلْيُخْبِرْهُ أَنَّهُ يُحِبُّهُ » رواه أبو داود والترمذى وقال : حديث صحيح .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ : « أَنْ رَجُلًا زَارَ أَخًا لَهُ فى قَرْيَةٍ أُخْرَى فَارْصَدَ (٦٠٢) الله على مدرجته (٦٠٣) مَلَكًا فَلَمَّا أتى عَلَيْهِ قَالَ : أَيْنَ تُرِيدُ ؟ قَالَ : أُرِيدُ أَخًا لى فى هَذِهِ القَرْيَةِ . قَالَ : هل لك عَلَيْهِ مِنْ نَعْمَةٍ (٦٠٤) تَرُبُّهَا (٦٠٥) عَلَيْهِ ؟ قَالَ : لا ، غير أَنِّى أَحَبَّبْتُهُ فى الله تَعَالَى . قَالَ : فإِنِّى رَسولُ الله إِلَيْكَ بَأَنَّ الله قد أَحَبَّكَ كما أَحَبَّبْتَهُ فِيهِ » . رواه مسلم .

وعنه قال : قَالَ رَسولُ الله ﷺ : « إِنْ الله تَعَالَى يَقول يَوْمَ القِيَامَةِ : أَيْنَ المَتَحَابِّونَ بِجَلالِى (٦٠٦) ؟ اليَوْمَ أَظْلُهُمْ فى ظِلِّى يَوْمَ لا ظِلَّ إِلا ظِلِّى » (٦٠٧) . رواه مسلم .  
فلنكن من المتحابين فى الله .. حتى نكون أهلاً لظل الله تعالى يوم لا ظل إلا ظله .

فى هذه الأحاديث الشريفة الصحيحة يريد النبى ﷺ من خلال إجاباته أو توجيهاته أن يلفت قلوبنا نحن المؤمنين بصفة خاصة إلى أهمية الحب لله وفى الله ، وذلك لأن الحب

---

( ٦٠٠ ) لتهاجر أو تقاطع كان بينهما .

( ٦٠١ ) فى الله عز وجل .

( ٦٠٢ ) أرصده له : إذا وكله بحفظه .

( ٦٠٣ ) الدرجة : أى الطريق .

( ٦٠٤ ) أى : عطية وإحسان .

( ٦٠٥ ) أى : تسعى فى صلاحها بتربيتها وحفظها .

( ٦٠٦ ) أى : لهيبته وسطوته .

( ٦٠٧ ) أى : فى ظل عرشه يوم القيامة .. فيكون بهذا فى كنف الله وستره .. ونعيمه السرمدى .

الله وفي الله يُعتبر من أهمِّ الأساسيات الإيمانية .. بل لن يتذوق المسلم أو المؤمن حلاوة الإيمان إلا به .

فعن أنس رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال : « ثلاثٌ من كُن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما ، وأن يُحبَّ المرء لا يُحِبُّه إلا الله ، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يُقذف في النار . » متفق عليه .

وتلك إشارة أولى أردت أن أبدأ بها في تمهيدى لشرح هذه الأحاديث الشريفة التي تدور حول هذا الموضوع الحيوى ، حتى ندرك - كما أشرتُ - أهميته ، وحتى نعمل إن شاء الله على أن نكون من أهل هذا الحب الصادق .. الذى أرجو أن نكون من المساهمين بقسط كبير منه في بنك المحبة (٦٠٨) : ( وهو بنك خزائنه في القلوب ، وسبائكته من نور ، شيكاته ابتسامات ، وعملته السهلة الصفاء ، وسندياته الإخلاص ، و ضماناته المعروف وهو يتسع لكافة المعاملات ، لا تصدُّمك أرقامه ، ولا يُفزعك تقلُّب أسعاره ، يدوم دوام المحبة ، والمحبة زهرة إن ذبلت يوماً عاش عطرها أبداً ، لا يُفرق بين الناس وفقاً لوضعهم المادى ، بل إن أولاهم بثقتهم من عظمت تضحيتهم ، وأوفرهم رصيذاً من شَفِّ قلبه حناناً ، ورقَّت رُوحه سلاماً ، يجمع القلوب ولا يجمع الأرقام ، يُحصى الخير وي طرح السيئات ، ولا يبالي إلا بالكلمة الطيبة ، لو تعامل الناس مع هذا البنك لتناسوا أحقادهم ، وارتفع رصيذُ إنسانية كلِّ منهم إلى ما فوق الغنى ، وغنى النفوس لا يُقدر بمال ، بل هو كنز موعود لأصحاب القلوب البيضاء ) .

وكأنى برسول الله ﷺ وقد وقف خطيباً يُرغِب أصحابه - أصحاب القلوب البيضاء - في المساهمة في هذا البنك المعنوى فقال ، ما ورد في حديث رواه أبو داود .

عن عمر رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال : « إن من عباد الله لأناساً ما هم بأنبياء ولا شُهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله تعالى ، قالوا : يا رسول الله تُخبرنا من هم ؟ قال : هم قومٌ تحابوا بروح الله (٦٠٩) على غير أرحامٍ

(٦٠٨) كما قال أحد الحكماء الصالحين .

(٦٠٩) أى : بمحبة الله ورحمته ، أو الروح القرآن لقوله تعالى : ﴿ وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ﴾ أى تحابوا في الله بسبب العمل بالقرآن .

بَيْنَهُمْ وَلَا أَمْوَالٍ يَتَعَاطُونَهَا (٦١٠) ، قَوَّاهُ إِنْ وَجَّهَهُمْ لِنُورٍ ، وَإِنَّهُمْ لَعَلَى نُورٍ (٦١١) لَا يَخَافُونَ إِنَّا خَافَ النَّاسَ ، وَلَا يَحْزَنُونَ إِنَّا حَزَنَ النَّاسَ : ﴿ إِلَّا إِنْ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ .

كما كان صلوات الله وسلامه عليه يُرَغِّبُهُمْ فِي هَذَا فِي كَثِيرٍ مِنْ أَحَادِيثِهِ الشَّرِيفَةِ الَّتِي مِنْهَا مَا وَرَدَ :

عَنْ أَبِي أَمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « مَنْ أَحَبَّ اللَّهَ وَأَبْغَضَ اللَّهَ وَأَعْطَى اللَّهَ وَمَنَعَ اللَّهَ فَقَدْ اسْتَكْمَلَ الْإِيمَانَ » رواه أبو داود والترمذي ، وزاد الترمذي « وَأَنْكَحَ اللَّهَ » . أَيْ : زَوَّجَ أَيَّ شَخْصٍ ؟ ، فَمَنْ كَانَ حَبِيبَهُ أَيْ لِلْمُؤْمِنِينَ اللَّهُ لَا لَعْلَةَ . وَبَغَضَهُ لِلْفَاسِقِينَ اللَّهُ أَيَّ لِكْرَاهَةِ اللَّهِ لَهُمْ ، وَأَعْطَى الْمُسْتَحَقَّ لِلَّهِ ، وَمَنَعَ غَيْرَهُ لِلَّهِ ، أَيْ : فَمَنْ كَانَ فَعَلَهُ وَتَرَكَهُ وَحَرَكَاتِهِ وَسَكَنَاتِهِ اللَّهُ فَقَدْ كَمَّلَ إِيْمَانَهُ .

وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ الْحُبُّ فِي اللَّهِ وَالْبَغْضُ فِي اللَّهِ » . رواه أبو داود .

فَكَانَ الْأَصْحَابُ عَلَيْهِمْ جَمِيعًا رِضْوَانُ اللَّهِ هُمْ أَوَّلُ الْمُنْتَفِعِينَ بِهَذَا التَّرْغِيبِ الْمَحْمَدِيِّ الَّذِي جَعَلَهُمْ جَمِيعًا عَلَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ بِبِرْكَةِ حُبِّ اللَّهِ تَعَالَى لَهُمْ .

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « إِنْ اللَّهُ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا دَعَا جَبْرِيْلَ فَقَالَ : إِنِّي أُحِبُّ فُلَانًا فَاجِبِهِ ، قَالَ : فَيُحِبُّهُ جَبْرِيْلُ ثُمَّ يِنَادِي فِي السَّمَاءِ فَيَقُولُ : إِنْ اللَّهُ يُحِبُّ فُلَانًا فَاجِبُوهُ ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ ، ثُمَّ يُوَضَّعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي أَهْلِ الْأَرْضِ ، وَإِذَا أَبْغَضَ اللَّهُ عَبْدًا دَعَا جَبْرِيْلَ فَيَقُولُ : إِنِّي أَبْغَضُ فُلَانًا فَابْغِضُوهُ ، قَالَ : فَيَبْغِضُوهُ جَبْرِيْلُ ثُمَّ يِنَادِي فِي أَهْلِ السَّمَاءِ : إِنْ اللَّهُ يَبْغِضُ فُلَانًا فَابْغِضُوهُ ، قَالَ : فَيَبْغِضُونَهُ ، ثُمَّ تُوَضَّعُ لَهُ الْبَغْضَاءُ فِي الْأَرْضِ » . رواه الشيخان والترمذي .

وَمَحَبَّةُ اللَّهِ لِعَبْدِهِ أَيْ : رِضَاؤُهُ عَنْهُ ، وَهَدَايَتُهُ لَهُ وَعِنَايَتُهُ بِهِ ، وَإِنْعَامُهُ عَلَيْهِ بِمَحَبَّةِ النَّاسِ لَهُ فِي الدُّنْيَا وَرَفِيعِ الدَّرَجَاتِ فِي الْآخِرَةِ .

وَبَغْضُ اللَّهِ لِعَبْدِهِ ، أَيْ : سَخَطُهُ عَلَيْهِ ، وَكِرَاهَةُ الْخَلْقِ لَهُ فِي الدُّنْيَا ، وَشِدَّةُ عِقَابِهِ فِي الْآخِرَةِ .

(٦١٠) أَيْ : بِغَيْرِ مَعَامَلَةٍ دُنْيَوِيَّةٍ وَلَا قَرَابَةٍ بَيْنَهُمْ بَلْ تَحَابَرُوا لِلَّهِ وَلَى اللَّهِ تَعَالَى .

(٦١١) أَيْ : إِنْ وَجَّهَهُمْ لِنُورٍ أَيْ : ذَاتِ نُورٍ ، « وَإِنَّهُمْ لَعَلَى نُورٍ » ، أَيْ : عَلَى مَنَابِرٍ مِنْ نُورٍ .

ومحبة الملائكة للعبد ، أى : استغفارهم له ، وثناؤهم عليه وبغضهم له : عدم استغفارهم له ، وعدم ثنائهم عليه .

ومحبة الناس للعبد ، أى : عطفهم وثناؤهم عليه ، وبغضهم للعبد : كراحتهم له وذمُّه ، وفيه : أن محبة الناس للعبد أو بغضهم له من محبة الله أو بغضه ، كما قيل : السنة الخلق أقلام الحق .

وقد قرأت في : ( رياض الصالحين ) ، تحت عنوان :

باب علامات حب الله تعالى العبد ، والحث على التخلق بها والسعى في تحصيلها :

ما ينبغي علينا كذلك أن ننتفع بها - أى : بتلك العلامات فننفذها - حتى نكون إن شاء الله تعالى من الصادقين في حبنا لله ورسوله ، فإليك أخا الإسلام بعض ما جاء في هذا الباب .

قال الله تعالى : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٦١٢) ، وقال : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (٦١٣) .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله تعالى قال : من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إلى عبدي بشيء أحب إلى مما افترضت عليه ، وما يزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها ، ورجله التى يمشى بها ، ولئن سألنى لأعطينه ، ولئن استعاذنى لأعيذنه » رواه البخارى .

ومعنى ( آذنته ) أى : أعلمته بانى محارب له ، وقوله : ( استعاذنى ) روى بالباء وروى بالنون .

وعن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ بعث رجلاً على سرية (٦١٤) فكان

(٦١٢) سورة آل عمران - الآية ٣١ .

(٦١٣) سورة المائدة - الآية ٥٤ .

(٦١٤) قطعة من الجيش .

يقرأ لأصحابه في صلاتهم فيختم بـ ﴿ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ ﴾ فلما رجعوا ذكروا ذلك لرسول الله ﷺ فقال : « سلوه (٦١٥) لأى شيء يصنع ذلك ؟ » فسألوه ، فقال : لأنها صفة الرحمن فأننا أحبُّ أن أقرأ بها ، فقال رسول الله ﷺ : « أخبروه أن الله تعالى يُحبه » . متفق عليه .

فلتكن أختا الإسلام منتفعا بهذا التذكير (\*) أو التبشير الذى جاء فى تلك الأحاديث الشريفة على لسان الحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه ..

والذى أرجو أن نكون جميعاً بسببه من أهل القبول فى السماء وفى الأرض ..  
والله ولى التوفيق ..

## ( ٩٧ ) أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ هَذَا لَهُ بَدْرَهُمْ ؟

عن جابر رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ مَرَّ بالسوق والناسُ كَنَفْتِيهِ (٦١٦) فَمَرُّ بَجَدْيِ أَسْكَ مَيْتٍ (٦١٧) فَتَنَاولَهُ فَاخَذَ بِأَذْنِهِ ثُمَّ قَالَ : « أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ هَذَا لَهُ بَدْرَهُمْ ؟ فَقَالُوا : مَا نُحِبُّ أَنْهَ لَنَا بِشَيْءٍ وَمَا نَصْنَعُ (٦١٨) بِهِ ؟ ثُمَّ قَالَ : أَنْتَجِبُونَ أَنَّهُ لَكُمْ ؟ قَالُوا : وَاللَّهِ لَوْ كَانَ حَيًّا كَانَ (٦١٩) عَيْبًا إِنَّهُ أَسْكَ فَكَيْفَ وَهُوَ مَيْتٌ ! فَقَالَ : فَوَاللَّهِ لِلدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ هَذَا عَلَيْكُمْ » . رواه مسلم .

ففى هذا الحديث الشريف الصحيح يلفت النبى صلوات الله وسلامه عليه قلوب

( ٦١٥ ) وذلك ليرتب جزاءه على حسن نيته .

( \* ) هذا وإذا كان قد سبق ذكر الحديث الذى رواه أبو داود عن عمر رضى الله عنه ، والحديث

الذى رواه الشيخان والترمذى عن أبي هريرة - فى شرح فتوى سابقة - فقد أعيد ذكرهما هنا لتأكيد المعنى الوارد فيهما فى موقعه ..

( ٦١٦ ) أى : جانيه .

( ٦١٧ ) أى : صغير الأذن .

( ٦١٨ ) وهو نجس لموته .

( ٦١٩ ) أى : لو كان حياً لترك مع رجاء الانتفاع به لكونه معيباً .

أصحابه إلى حقيقة الدنيا حتى يُخرجوا حُبُّها من قلوبهم .. وحتى لا تكون سببًا في هلاكهم وحرمانهم من نعيم الآخرة الدائم .

فعن عمرو بن عوف الأنصاري رضى الله عنه : أن رسول الله ﷺ بعث أبا عبيدة بن الجراح رضى الله عنه إلى البحرين يأتى بجزيرتها ، فقدم بمالٍ من البحرين ، فسمعت الأنصار بقدوم أبى عبيدة فوافوا صلاة الفجر مع رسول الله ﷺ ، فلما صلى رسول الله ﷺ أنصرف فتعرضوا له ، فتبسم رسول الله ﷺ حين رآهم ، ثم قال : « أَنْظَكُمْ سَمِعْتُمْ أَنْ أبا عبيدة قدم بشيءٍ من البحرين ؟ فقالوا : أجل يا رسول الله ، فقال : أبشروا وأقبلوا ما يسرُّكم ، فوالله ما الفقر أخشى عليكم ، ولكنى أخشى أن تُبسط الدنيا عليكم كما بُسطت على من كان قبلكم فتنافسوها (٦٢٠) كما تنافسوها فتُهلككم كما أهلكتهم . » متفق عليه .

وعنه أن رسول الله ﷺ قال : « إن الدنيا حُلوة حُضرةٌ ، وإن الله تعالى مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون ، فاتقوا الدنيا (٦٢١) واتقوا النساء » (٦٢٢) . رواه مسلم .

وكان هذا هو السبب المباشر في حرص الرسول ﷺ على تزهد أصحابه - وكل فرد من أفراد أمته إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها - في هذه الدنيا الفانية التى لا تزن عند الله جناح بعوضة .. كما يشير إلى هذا الحديث الشريف الذى ورد .

عن سهل بن سعد الساعدي رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء » . رواه الترمذى وقال : حديث حسن صحيح .

وإلى هذا المعنى يشير أحد الصالحين في قوله : إذا أردت أن تعرف قيمة الدنيا فانظر هي في يد مَنْ ؟!

ولهذا .. حسبنا إذا أردنا أن نُخرج حب الدنيا من قلوبنا أن ندرس هذا الحديث الشريف الذى تدور حوله ، والذى يصور الرسول ﷺ الدنيا فيه بهذا الجدى الأسك :

(٦٢٠) التنافس : المسابقة إلى الشيء .. والأصل فتنافسوها .

(٦٢١) أى : من مُلككم إلى زهرتها وحلاوتها وخضرتها ..

(٦٢٢) أى : احذروهن أن يحملكم الاقتتان بهن على ترك ما طلب منكم من التكاليف .

الميت الذى تأبى النفس الطاهرة مجرد النظر إليه .. فضلاً عن امتلاكه ولو بمبلغ زهيد لا يُذكر ..

فقد جاء في نص الحديث - كما قرأنا - عن جابر رضى الله عنه : « أن رسول الله مرَّ بالسوق التى يباع فيها (٦٢٢) (والناس كنفية) وفي بعض النسخ كنفية ، ومعنى الأول : جانبه ، والثانى : جانبيه (فمر بجدي) وهو ولد المعز كذا في المفاتيح .. (أسك) أى : صغير الأذن (ميت فتناوله) وفيه دليل على أن لمس النجس إذا لم تكن رطوبة من أحد الجانبين لا ينجس (فاخذ بأذنه) لمزيد الحقارة (ثم قال : أياكم يحب أن هذا له بدرهم ؟) .

قال العاقولي : هو استفهام إرشاد وتنبيه ليلقوا السمع لما يوجهه إليهم من الخطاب الخطير في ضمن التمثيل بهذا المعنى الحقير (فقالوا : ما نحب أنه لنا بشيء) أى : من الأشياء التى هى أقل من الدرهم فضلاً عنه (وما نضع به) وهو نجس لموته قد انقطعت الأطماع بذلك عن الانتفاع به (قال) تأكيداً للمقام (تحبون) أى : أتحبون (أنه لكم) أى : من غير شيء (قالوا : والله لو كان حياً كان عيباً) أى : معيباً أو ذا عيب (أنه أسك) تفسير لعيب (فكيف وهو ميت) لا يُنتفعُ به (فقال : والله للدنيا أهون على الله من هذا عليكم) أى : أن الدنيا عند الله أذل وأحقر من هذا عندكم ..

فمن هذا الحديث الذى وقفنا على إيجاز شرحه كما جاء في (دليل الفالحين) يتبين لنا أن الخير كله في أن يكون الإنسان في هذه الدنيا ضيفاً بهذا المعنى الذى أشار إليه الحكيم في قوله :

الْعُمُرُ مِثْلُ الضُّعْفِ أَوْ      كَالطَّيْفِ لَيْسَ لَهُ إِقَامَةٌ  
وَأَخُو الْجِجَا فِي سَائِرِ      الْأَحْوَالِ مُرْتَقِبٌ جِمَامَةٌ  
وَالجَاهُ مِثْلُ الْمُغْتَرِّ      مَنْ لَمْ يَجْعَلِ التَّقْوَى اغْتِنَامَةً

و (الججا) أى : العقل ، (والحمام) بكسر الحاء ، أى : الموت ..

وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : « أخذ رسول الله ﷺ بمنكبى فقال : كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ » . زاد الترمذى : « وَعُدُّ نَفْسَكَ مِنْ أَهْلِ الْقُبُورِ » .

(٦٢٢) مؤنثة وهو أفصح .. قال في المصباح يذكر ويؤنث .

ورواه أحمد والنسائي أوله : « اعبد الله كأنك تراه وكن في الدنيا .. الخ . وكان ابن عمر (رضى الله عنهما) يقول : إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح ، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء ، وخذ من صحتك لمرضك ، ومن حياتك لموتك . رواه البخاري .

قالوا في شرح هذا الحديث : معناه : لا تركز إلى الدنيا ولا تتخذها وطنًا ، ولا تحدث نفسك بطول البقاء فيها ولا بالاعتناء بها ، ولا تتعلق منها بما لا يتعلق به الغريب في غير وطنه ، ولا تشتغل فيها بما لا يشتغل به الغريب الذي يريد الذهاب إلى أهله ... فإن شأنه ألا يستكثر من المتاع لأن ذلك يتعبه في مقصده ويثقله عن مطلبه ، بخلاف من أضرب عن العود ، فذلك لا يحتفل بأمر السفر ، فالحازم لا يتخذ من الدنيا ما يثقله في السفر إلى مولاة ، والغافل عن ذلك معرض عن آخرته مقبل على زهرة دنياه ، وهذا راجع لمجموع الحديث وذلك إذا كان المسافر المذكور ، وإن كان يقيم بتلك البلاد شأنه الإعراض عما يثقله في سفره ، فالعابر بها من غير إقامة أولى بذلك (٦٢٤).

وتلك هي الخلاصة التي لا بد وأن نتفق عليها جميعًا .. وهي أننا جميعًا في سفر إلى الله تبارك وتعالى إن عاجلاً وإن آجلاً .. وأننا يوم أن نتقل من هذه الحياة الأولى لن نأخذ معنا إلى الدار الآخرة إلا ما قدمناه من أعمال صالحة أو طالحة : ﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ﴾ \* ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ﴾ (٦٢٥) ، ﴿ وأن ليس للإنسان إلا ما سعى ﴾ \* وأن سعيه سوف يُرى ﴾ \* ثم يُجزاه الجزاء الأوفى ﴾ (٦٢٦) .

وعلى هذا فإنه ينبغي على الإنسان المسلم العاقل أن يعتبر نفسه في دار مؤقتة ، وأنه ينبغي عليه أن لا يفتخر بها حتى لا تنسيه الآخرة التي هي دار النعيم الحقيقي .. قال تعالى : ﴿ وإن الدار الآخرة لهي الحيوان ﴾ \* أى : لهي الحياة الحقيقية ﴿ لو كانوا يعلمون ﴾ (٦٢٧) .

وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : نام رسول الله ﷺ على حصير فقام وقد أثر في جنبه ، فقلنا : يا رسول الله لو اتخذنا لك وطاءً؟ فقال : « ما لي وللدنيا ، ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها » رواه الترمذي ، وقال : حديث حسن صحيح .

أسأل الله تعالى أن يجعلنا من أبناء الآخرة لا من أبناء الدنيا ... آمين ..

(٦٢٤) كما جاء في شرح : ( دليل الفالحين ) بتصرف .

(٦٢٥) سورة الزلزلة الآية ٧ - ٨ .

(٦٢٦) سورة النجم : الآية ٣٩ - ٤١ .

(٦٢٧) سورة العنكبوت : الآية ٦٤ .

## ( ٩٨ ) أَفَلَا أَعْلَمُكُمْ شَيْئًا تَدْرِكُونَ بِهِ مِنْ سَبَقِكُمْ ؟

عن أبي هريرة رضى الله عنه أن فقراء المهاجرين أتوا رسول الله ﷺ فقالوا : ذهب أهل الدُّثُور بالدرجات العُلى (٦٢٨) والنعيم المقيم (٦٢٩) ، فقال : « وما ذاك ؟ » فقالوا : يُصلون كما نُصَلِّ (٦٣٠) ، ويصومون كما نصوم ، ويتصدقون ولا نتصدق ، ويعتقون ولا نعتق ، فقال رسول الله ﷺ : « أفلا أعلِّمُكم شيئاً تدركون به من سبقكم ، وتسبقون به من بعدكم ، ولا يكون أحدٌ أفضل منكم إلا من صنع مثل ما صنعتم ؟ قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : تُسبحون وتُكَبِّرون وتحمدون دُبُر (٦٣١) كُلِّ صلاةٍ ثلاثاً وثلاثين مرَّةً » فرجع فقراء المهاجرين إلى رسول الله ﷺ فقالوا : سمع إخواننا أهل الأموال بما فعلنا ففعلوا مثله ، فقال رسول الله ﷺ : ﴿ ذلك فضلُ الله يؤتيه من يشاء ﴾ ، متفق عليه ، وهذا لفظ مسلم ، و ( الدُّثور ) : الأموال الكثيرة .

ففى هذا الحديث الشريف يجيب النبى المصطفى صلوات الله وسلامه عليه عن تساؤل وجَّه إليه فقراء المهاجرين يوم أن ذهبوا إليه فقالوا له : ( ذهب أهل الدُّثور ) وهم أصحاب الأموال الكثيرة ( بالدرجات العلى والنعيم المقيم ) أى : الذى لا ينقطع ولا ينقضى .. ثم بيَّنوا وجه ذلك بقولهم على سبيل الاستئناف البيانى ( يُصلون كما نصلي ، ويصومون كما نصوم ، ولهم فضلٌ من أموال ، يحجون ويعتَمرون ، ويُجاهدون ويتصدقون ) وفى رواية أخرى وهى التى ندور حولها ( ويتصدقون ولا نتصدق ، ويعتقون ولا نعتق ) .

كان هذا هو مجمل السؤال أو التساؤل الذى أجاب عنه الرسول ﷺ بقوله لهم : ( ألا أعلِّمكم شيئاً تدركون به من سبقكم ) أى : إلى الأجر بعمل البر الذى عجزتم عنه ( وتسبقون به من بعدكم ) أى : تفوقون فى الأجر من لم يأت بهذا العمل ( ولا يكون أحد أفضل منكم ) لعظم ثوابكم المرتب على هذا الذكر ( إلا من صنع مثل ما صنعتم )

( ٦٢٨ ) أى : الرفيعة .

( ٦٢٩ ) أى : نعيم الجنة .

( ٦٣٠ ) أى : مساوون لنا .

( ٦٣١ ) أى : خلف كل صلاة مكتوبة ، أى : مفروضة .

استثناء منقطع ، أى : لكن من صنع مثل صنعمكم أجره كأجركم ، فالمقيد خبره محذوف وأتى به إيماء إلى أن الصنع بسبب الأجر وعلّة له يجعل الله تعالى والحكم دائر على علته ودفعا لتوهم اختصاصهم بالأجر المذكور فيه ، بل هم وسائر العمال له سواء في ثوابه « قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : تسبحون وتحمدون ، وتكبرون خلف كل صلاة » أى : مكتوبة .. وإن كانت لئكارتها ودخول كل عليها عامة ( ثلاثا وثلاثين ) .

قال البرماوى : وحكمة تخصيص هذه الأذكار أن التسبيح تنزيهه عن النقائص ، والتحميد إثبات للكلمات ، والتكبير إثبات أن حقيقة ذاته - سبحانه وتعالى - أكبر من أن تدركها الأوهام أو تحيط بها الأفهام . هـ .

أى : كل واحدة ثلاثا وثلاثين ، أو المجموع ذلك ، فيكون كل واحدة إحدى عشرة ، وعليه فثلاثا وثلاثين معمول لمقدر ، أى : تقول مجموع ذلك ثلاثا وثلاثين وفيه بُعد ، وأكثر الروايات أن التسبيح ثلاث وثلاثون ، وكذا كل من التحميد والتكبير ، وختم المائة : لا إله إلا الله وحده لا شريك له .. الخ وفي رواية : أن كلاً من الأولين كذلك ، والتكبير أربع وثلاثون .. وأما الإحدى عشرة من كل فهو رواية ، ويجمع بحمل هذه على أصل السنة وتنبية على كمالها .

( قال أبو صالح الراوى عن أبي هريرة : لما سُئِلَ عن كيفية ذكره قال : يقول : سبحان الله والحمد لله والله أكبر ) قال في فتح الإله : ما أفهمه كلامه من أن الإتيان بها مختلطات لا بكل نوع على حدته غير معمول به بالنسبة للأكمل ، إذ هو أن يأتى بكل عدد على حدته .

قال القاضى عياض : وهو أولى من تأويل أبى صالح ( حتى يكون ) أى : حتى يكون الماتى به ( منهن كلهن ثلاثا وثلاثين ) قال البرماوى : هو منصوب فى أكثر الروايات ، ويروى بالرفع على أنه اسم كان ، والأول أظهر وأنه خبرها ، وهو محتمل لما تقدم من أن المراد أن يكون من المجموع هذا العدد أو من كل من المركب من هذه الأنواع ، والثانى أقرب لكلامه .. والحديث - كما عرفنا - متفق عليه ، أخرجه البخارى فى الصلاة ، وكذا مسلم ، ورواه النسائى فى اليوم والليلة ، وللحديث طرق انفرد ببعضها مسلم عن البخارى فى صحيحه ، وذلك كرجاء بن حيوة عن أبى صالح فقد أخرجه مسلم فى صحيحه فى الصلاة والبخارى فى الأدب المفرد .

وزاد مسلم فى روايته للحديث من طريق ابن حيوة عن أبى صالح ( فرجع فقراء

المهاجرين إلى رسول الله ﷺ فقالوا : سمع إخواننا ) أى : المؤمنون ( أهل الأموال بما فعلنا ) فيه إطلاق الفعل على القول لأنه فعل اللسان ( ففعلوا مثله ) أى : فساوونا في العبادة التي فوقتنا عليهم لو أتينا بها دونهم وزادوا علينا بالعبادة المالية ( فقال رسول الله ﷺ : ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ) المشار إليه إمَّا الفضل الذي أرشدهم إليه ﷺ وأن به يسبقون : أى ذلك الفضل بيده - سبحانه - فله أن يخص به قائلًا دون قائل ، فلا عليكم أن شركوكم في القول ، فإن الثواب المذكور مقصور على الفقراء ، وإما تفضيل الجامعين بين عبادة البدن والمال ، ويبتنى عليه الخلاف : هل الفقير الصابر أفضل أو الغنى الشاكر ؟ والجمهور على الثاني لتعدى نفعه وقصور نفع الأول .

وهناك روايات أخرى قرأتها في الجزء الثالث ، من ( الدين الخالص ) أحبُّ كذلك أن أثبتها هنا حتى ننتفع بها ، وقد ذُكرتُ بها قبل ذلك ، وأردتُ التذكير بها - هنا - لتأكيد معناها والاستفادة بها :

فعن أبي هريرة رضى الله عنه أن النبي ﷺ قال : « من سَبَّحَ ذُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ (٦٢٢) ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ ، وَحَمِدَ اللَّهَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ ، وَكَبَّرَ اللَّهَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ ، فَتَلَعَ تِسْعَ وَتِسْعُونَ ، ثُمَّ قَالَ : تَمَامَ الْمِائَةِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (عُفِّرَتْ) خَطَايَاهُ وَلَوْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ » (٦٢٣) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ وَالشَّيْخَانُ وَأَبُو دَاوُدَ .

وعن سُمَيٍّ عن أَبِي صَالِحِ السَّمَانَ عن أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : جَاءَ الْفُقَرَاءُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالُوا : ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ مِنَ الْأَمْوَالِ بِالدرجات العلى وَالنَّعِيمِ الْمَقِيمِ ، يُصَلُّونَ كَمَا نَصَلِّي ، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ ، وَلَهُمْ فَضْلٌ مِنْ أَمْوَالٍ يَجْجُونَ بِهَا وَيَعْتَمِرُونَ وَيَجَاهِدُونَ وَيَتَصَدَّقُونَ . قَالَ : « أَلَا أُحَدِّثُكُمْ بِمَا إِنْ أَخَذْتُمْ بِهِ أَدْرَكْتُمْ مِنْ سَبْقِكُمْ وَلَمْ يَدْرِكْكُمْ أَحَدٌ بَعْدَكُمْ وَكُنْتُمْ خَيْرَ مَنْ أَنْتُمْ بَيْنَ ظَهْرَانِيهِ (٦٢٤) إِلَّا مَنْ عَمِلَ مِثْلَهُ ؟ تَسْبِحُونَ وَتَحْمَدُونَ وَتُكَبِّرُونَ خَلْفَ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ » فَاخْتَلَفْنَا بَيْنَنَا (٦٢٥) فَقَالَ بَعْضُنَا : نَسَبِحَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ ، وَنَحْمَدُ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ ، وَنُكَبِّرُ أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ ، فَرَجَعَتْ إِلَيْهِ فَقَالَ : تَقُولُ : سَبَّحَانَ اللَّهَ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ ، حَتَّى يَكُونَ مِنْهُمْ كَلِمَةٌ (٦٢٦) ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ » . أَخْرَجَهُ الشَّيْخَانُ وَالنَّسَائِيُّ .

(٦٢٢) لفظ صلاة يشمل الفرض والنفل ، ولكن جملة العلماء على الفرض .

(٦٢٣) الزيد بفتح الحين : الرغبة تعلق الماء عند تلاطم الأمواج .

(٦٢٤) المعنى : من أقمتم بينهم مستظهرين بهم ومستنديين إليهم .

(٦٢٥) أى : اختلفوا في المعنى المراد .

(٦٢٦) كلهن ، بكسر اللام توكيد للضمير المجرور . وثلاثًا وثلاثين ، بالنصب خبر كان واسمها

محذوف ، والتقدير حتى يكون العدد منهن ثلاثًا وثلاثين .

ولذا قال في الإقناع : والأفضل أن يفرغ من عدد الكل معًا .

وعن ابن عمر قال : اشتكى فقراء المؤمنين إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما فضل به أغنياؤهم ، فقالوا : يا رسول الله إخواننا صدقوا تصديقنا ، وأمنوا إيماننا ، وصاموا صيامنا ، ولهم أموال يتصدقون منها ، ويصلون بها الأرحام ، وينفقونها في سبيل الله ، ونحن مساكين لا نقدر على ذلك ؟ فقال : « ألا أخبركم بشيء إذا أنتم فعلتموه أدركتم مثل فضلهم ؟ قولوا : الله أكبر في دبر كل صلاة إحدى عشرة مرة ، والحمد لله مثل ذلك ، ولا إله إلا الله مثل ذلك ، وسبحان الله مثل ذلك ، تدركون مثل فضلهم . ففعلوا . فذكر ذلك للأغنياء ففعلوا مثل ذلك فرجع الفقراء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فذكروا ذلك له فقالوا : هؤلاء إخواننا فعلوا مثل ما نقول فقال : ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، يا معشر الفقراء ألا أُبَيِّرُكُمْ ؟ فقراء المسلمين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بنصف يوم . خمسمائة عام . »

وتلا موسى بن عبيدة : ﴿ وَإِنْ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَالْفِ سَنَةِ مِمَّا تَعُدُّونَ ﴾ (٦٣٧) وأخرجه البزار ، وفيه موسى بن عبيدة البرذوي ضعيف .

وعن محمد بن أبي عائشة عن أبي هريرة أنه حدثهم أن أبا ذر قال : يا رسول الله ذهب أصحاب الدثور بالأجور يُصلون كما نُصلي ، ويصومون كما نصوم ، ولهم فضول أموالهم يتصدقون بها ، وليس لنا ما نتصدق به . فقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « أفلا أدلك على كلماتٍ إذا عملتَ بهنَّ أدركتَ من سبقتك ، ولا يلحقك إلا من أخذَ بمثل عملك ؟ قلتُ : بلى يا رسول الله . قال : تُكَبِّرُ دُبْرَ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ ، وَتُسَبِّحُ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ ، وَتَحْمَدُ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ ، وَتُحَمِّدُ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ ، وَتُكَبِّرُ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ ، وَتُحَمِّدُ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ ، وَتُكَبِّرُ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ ، وَتُحَمِّدُ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ ، وَتُكَبِّرُ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ ، وَتُحَمِّدُ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ . »

فينبغي العمل بإحدى الروایتين تارة وبالأخرى تارة جمعًا بينهما .

وعن زيد بن ثابت قال : « أمرنا أن نُسَبِّحُ فِي دُبْرِ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ ، وَنَحْمَدُ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ ، وَنُكَبِّرُ أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ ، فَأَتَى رَجُلٌ فِي الْمَنَامِ مِنَ الْأَنْصَارِ فَقِيلَ

له : امركم رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أن تُسَبِّحُوا في دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ كَذَا وكذا ؟ قال الأنصاري في منامه : نعم ، قال : فاجعلوها خمسا وعشرين ، خمسا وعشرين . واجعلوها فيها التهليل ، فلما أصبح غدا على النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم فآخبره ، فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فافعلوا «(٦٣٨).

أخرجه أحمد والنسائي وابن حبان وابن خزيمة والدارمي ، وهو حديث صحيح .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « خَلَّتَانِ(٦٣٩) من حافظ عليهما أدخلتاه الجنة ، وهما يسير ومن يعمل بهما قليل . قالوا : وما هما يا رسول الله ؟ قال : أن تحمد الله وتكبره ، وتُسَبِّحَهُ في دُبُرِ كل صلاة مكتوبة عشرا عشرا ، وإذا أتيت إلى مضجعك تُسَبِّحُ الله وتكبره وتحمده مائة مرة ، فتلك خمسون ومائتان باللسان ، وألفان وخمسمائة في الميزان ، فايكم يعمل في اليوم واللييلة ألفين وخمسمائة سيئة ؟ قالوا : كيف . من يعمل بها قليل ؟ قال : يجيء أحدكم الشيطان في صلاته فيذكِّره حاجة كذا وكذا فلا يقولها ، ويأتيه عند منامه فينومُه فلا يقولها ، قال : ورأيت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يَعْقُدُهُنَّ بيده «(٦٤٠) . أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه بسند صحيح .

ثم يقول بعد ذلك في ( الدين الخالص ) : فَعُلِمَ من هذه الروايات أن التسبيح عقب الصلوات وارد على أعداد مختلفة ، فأى عدد منها عمل به الإنسان فقد وافق الوارد ، وأكثرها وأقواها رواية التسبيح ثلاثا وثلاثين ، والتحميد والتكبير كذلك ، فالعمل بها أولى . وأخذ من هذه الروايات أن مراعاة العدد المخصوص في الأذكار عقب الصلوات معتبرة ، فلا يتعداها الذكر وإلا حُرِمَ ثوابها .

( قال في الفتح ) : قد كان بعض العلماء يقول : إن الأعداد الواردة في الذكر عقب الصلوات إذا رتب عليها ثواب مخصوص فزاد الآتى بها على العدد المذكور لا يحصل له ذلك الثواب المخصوص ، لاحتمال أن يكون لتلك الأعداد حكمة وخاصة تفوت بمجاورة ذلك العدد ، وقد بالغ القراني في القواعد فقال : من ألبدع ألكروهة الزيادة في المندوبات

(٦٣٨) هو تقرير لرؤيا الأنصاري بوحى .

(٦٣٩) خلَّتَانِ بفتح الخاء ، أى : خلَّتَانِ كما في رواية ابن حبان .

(٦٤٠) أى : يعدهن بيده الشريفة وهو يذكر الحديث .

المحدودة شرعاً ، لأن شأن العظماء إذا حدوا شيئاً أحبوا أن يوقف عنده ، ويُعد الخارج عنه مسيئاً للأدب أ . هـ .

وقد مثَّله بعض العلماء بالدواء يكون مثلاً فيه أوقية سكر فلو زيد فيه أوقية أخرى لتخلف الانتفاع به ، ولو اقتصر على الأوقية في الدواء ثم استعمل من السكر بعد ذلك ما شاء لم يتخلف الانتفاع ، ويمثل أيضاً بأسنان المفتاح إذا زيد فيها أو نقص منها لا تفتح ، فكذلك العدد المذكور إذا زيد فيه أو نقص لا يحصل الثواب الموعود به فعليك بالاتباع ، وأترك الاختراع والنزاع .

ثم يقول بعد ذلك تحت عنوان :

### ❖ عَدُّ التَّسْبِيحِ :

يجوز عَدُّ هذه الأذكار ونحوها بالأصابع أو النوى أو السُّبُحَة أو غيرها ( لحديث ) هانئ بن عثمان عن حميضة بنت ياسر عن يسيرة بنت ياسر قالت : قال لنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « عليكن بالتسبيح والتهليل والتقديس وأعقدن بالأنامل فإنهن مسئولاتٌ مُستنطقات (٦٤١) ولا تغفلن فتُنسِينَ الرحمة » (٦٤٢) . أخرجه الحاكم والترمذى وقال : غريب لا نعرفه إلا من حديث هانئ بن عثمان ، وصحح السيوطى إسناده .

( والتقديس ) أى : قول : ( سُبُوحٌ قُدُوسٌ رَبُّ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ ) .

( ولحديث ) ابن عمرو قال : رأيتُ رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يعقد التسبيح بيمينه .

أخرجه أبو داود والترمذى والنسائى والحاكم وصححه ، وقال : حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث الأعمش عن عطاء بن السائب .

( ولحديث ) سعد بن أبى وقاص أنه دخل مع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم على امرأة بين يديها نوى أو حصى تُسَبِّحُ به ، فقال : « أَخْبِرْكِ بما هو أيسرُ

---

( ٦٤١ ) أى : يطلب منهن النطق فيشهدن لصاحبها أو عليه . . . ﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ . (سورة النور آية ٢٤) .

( ٦٤٢ ) أى : تحرم الرحمة المترتبة على ما ذكر .

عليك من هذا أو أفضل ؟ سبحان الله عدد ما خلق في السماء ، وسبحان الله عدد ما خلق في الأرض ، وسبحان الله عدد ما خلق بين ذلك ، وسبحان الله عدد ما هو خالق ، والله أكبر مثل ذلك ، والحمد لله مثل ذلك ، ولا إله إلا الله مثل ذلك ، ولا حول ولا قوة إلا بالله مثل ذلك . « أخرجه أبو داود والترمذى والنسائى ، وابن ماجة ، وابن حبان ، والحاكم ، وصححه وقال الترمذى : حسن غريب .

( ولحديث ) صفة قالت : دخل على رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وبين يدي أربعة آلاف نواة أسبج بهن ، فقال : « لقد سبحت بهذا ؟ ألا أعلمك بأكثر مما سبحت به ؟ فقالت : علمنى . فقال : قولى : سبحان الله عدد خلقه . » أخرجه الترمذى والحاكم وصححه .

( وعن ابن عباس ) عن جويرية أن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم خرج من عندها بكرة حين صلى الصبح وهى فى مسجدها ، ثم رجع بعد أن أضحى وهى جالسة فقال : « ما زلت على الحال التى فارقتك عليها ؟ » قالت : نعم . قال النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن : سبحان الله وبحمده عدد خلقه ، ورضاء نفسه ، وزنة عرشه ومداد كلماته . » رواه مسلم والنسائى والترمذى وكذا أبو داود عن ابن عباس مرسلأ لم يذكر جويرية .

( وفى الأحاديث ) : دلالة على جواز عدِّ الذكر بالنوى والحصى ، وكذا بالسبحة إذ لا فارق ، لتقريره صلى الله عليه وعلى آله وسلم للمرأتين عليه وعدم إنكاره ، والإرشاد إلى ما هو الأفضل لا ينافى جواز غيره ، وقد قال النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « نعم المذكرُ السُّبْحَةُ » . أخرجه الديلمى فى مسند الفردوس عن على ، وعن أبى سعيد الخدرى أنه كان يسيح بالحصى .

وعن أبى هريرة أنه كان معه كيس فيه حصى أو نوى فيُسبَحُ به حتى ينفد . أخرجهما ابن أبى شيبة .

وقد ذكر السيوطى آثاراً أخرى فى رسالة : ( المنحة فى السبحة ) ثم قال : ولم ينقل عن أحد من السلف ولا من الخلف المنع من جواز عدِّ الذكر بالسبحة بل كان أكثرهم يعدونه بها ولا يرون ذلك مكروهاً أ . هـ .

( ومحل ) جواز اتخاذ السُّبْحَةِ للذكر ما لم يترتب عليه رياء أو سمعة وإلا مُنِعَ ،

كما يُمنع وضعها في العنق كما يفعله بعض الجهلة ، ووضعها في اليد وإدارتها من غير ذكر .

( وقد سئل ) العلامة الشيخ على العدوي عن اتخاذ السُّبْح ( فأجاب ) بأن اتخاذ السُّبْح الكبار من الخشب أو غيره حرام يجب التبعاد عنه باتخاذ سُبْحَة من السُّبْح المعتادة التي لا يحصل بها شهرة ، وبعد اتخاذها على هذا الوجه لا يضعها في رقبتة أو نحوها مما يُفيد أن حاملها من المتصوفة ، فيؤول أمره إلى الرياء المحرم بالإجماع ، ويحذر أيضًا مما يفعله بعض الناس من كونه يتكلم مع الناس في اللهو واللعب ، ويُدير السُّبْحَة من أولها إلى آخرها ويوهم أنه يُسَبِّحُ في تلك الحالة ، والحاصل أنه إذا تعاطى السبحة على الوجه المعتاد يتباعد عن الأمور المقتضية للشهرة وألعب والرياء ، لأن ذلك كله محبط للعمل أ . هـ .

فلاحظ كل هذا أذا الإسلام ونفذه على هذا الأساس الذي وقفت عليه .. وأرجو إن شاء الله بسبب هذا التنفيذ الأمتل أن تكون من أهل الفضل المشار إليه في ختام الحديث الشريف الذي درنًا حوله ..

وأشك ولى التوفيق ..

## ( ٩٩ ) يا رسول الله أخبرنى عما علمك الله وأجهله .. ؟

عن أبى نجيع عمرو بن عبسة ( بفتح العين والباء ) السلمى رضى الله عنه قال :  
كنتُ وأنا في الجاهلية أظن أن الناس على ضلالةٍ وأنهم ليسوا على شىء (٦٤٣) وهم  
يعبدون الأوثان ، فسمعتُ برجلٍ بمكة يُخبرُ أخبارًا فقعدتُ على راحلتي (٦٤٤) فقدمتُ  
عليه فإذا رسول الله ﷺ مُستخفياً (٦٤٥) جُراءً (٦٤٦) عليه قومه ، فتلطفتُ حتى دخلتُ

( ٦٤٣ ) ينفعهم عند الله تعالى .

( ٦٤٤ ) ركبت عليها مسافرًا .

( ٦٤٥ ) مستترًا من الكفار والأشرار .

( ٦٤٦ ) جمع جرىء من الجرءة : الإقدام والتسلط .

عليه بمكة فقلت له : ما أنت ؟ قال : « أنا نبيٌ . قلت : وما نبيٌ (٦٤٧) ؟ قال : أرسلني الله . قلت : بأي شيء أرسلك ؟ قال : أرسلني بصلية الأرحام ، وكسر الأوثان ، وأن يوحد الله لا يشرك به شيء . قلت : فمن معك على هذا ؟ قال : حرٌّ وعبدٌ . ومعه يومئذ أبو بكر وبلال رضي الله عنهما ، قلت : إنني متبعك (٦٤٨) ، قال : إنك لن تستطيع ذلك يومك هذا ألا ترى حالي وحال الناس ؟ ولكن ارجع إلى أهلِكَ فإذا سمعت بي قد ظهرت فاتني . قال : فذهبتُ إلى أهلي ، وقدم رسول الله ﷺ المدينة وكننتُ في أهلي فجعلت أتحبُّ الأخبار وأسال الناس حين قدم المدينة حتى قدم نقرٌ من أهلي المدينة فقلت : ما فعل هذا الرجل الذي قدم المدينة ؟ فقالوا : الناس إليه سراعٌ وقد أراد قومه قتله فلم يستطيعوا ذلك ، فقدمتُ المدينة فدخلتُ عليه فقلت : يا رسول الله أتعرفني ؟ قال : « نعم أنت الذي لقيتني بمكة » قال : فقلت : يا رسول الله أخبرني عما علمك الله وأجهله ، أخبرني عن الصلاة (٦٤٩) ؟ قال : « صلِّ صلاة الصُّبح ثم أقصر (٦٥٠) عن الصلاة حتى ترتفع الشمس قيذ رُمح (٦٥١) فإنها تطلع حين تطلع بين قرني شيطان وحينئذ يسجدُ لها الكفار ، ثم صلِّ فإن الصلاة مشهودةٌ محصورةٌ (٦٥٢) حتى يستقل الظلُّ بالرُمح (٦٥٣) ، ثم أقصر عن الصلاة فإنه حينئذ تُسجَرُ جهنم (٦٥٤) ، فإذا أقبل الغيءُ فصلِّ فإن الصلاة مشهودةٌ محصورةٌ حتى تصلِّي العصر ، ثم أقصر عن الصلاة حتى تغرب الشمس فإنها تغرب بين قرني شيطان وحينئذ يسجدُ لها الكفار » قال : فقلت : يا نبي الله فالوضوءَ حدثني عنه ؟ فقال : « ما منكم رجلٌ يقربُ وضوءَهُ فيتمضمضُ ويستنشق (٦٥٥) فينتثرُ إلا حُرَّت خطايا وجهه وفيه وخياشيمه (٦٥٦) ، ثم إذا

(٦٤٧) أي : ما حقيقة النبي المميّزة له عما سواه .

(٦٤٨) أي : عل إظهار الإسلام وإقامتي معك .

(٦٤٩) أي : النافلة .

(٦٥٠) أي : أقعد عن صلاة النوافل التي لا سبب لها .

(٦٥١) أي : قدره .

(٦٥٢) أي : تحضرها ملائكة الرحمة نهارًا وتشهد لمن صلاها .

(٦٥٣) أي : يبلغ ظله أدنى غاية التقص وقت استواء الظهر .

(٦٥٤) أي : تهيج بالوقود .

(٦٥٥) أي : يجذب الماء من خياشيمه ثم يدفعه ليزيل ما في أنفه من الأذى .

(٦٥٦) جمع خيشوم أقصى الأنف .

غَسَلَ وَجْهَهُ كَمَا أَمَرَهُ اللهُ إِلا خَرَّتْ خَطَايَا وَجْهِهِ مِنْ أَطْرَافِ لِحْيَتِهِ مَعَ الْمَاءِ ، ثُمَّ يَغْسَلُ يَدَيْهِ إِلَى الْمِرْفَقَيْنِ إِلا خَرَّتْ خَطَايَا يَدَيْهِ مِنْ أُنَامِلِهِ (٦٥٧) مَعَ الْمَاءِ ، ثُمَّ يَمْسَحُ رَأْسَهُ إِلا خَرَّتْ خَطَايَا رَأْسِهِ مِنْ أَطْرَافِ شَعْرِهِ مَعَ الْمَاءِ ، ثُمَّ يَغْسَلُ قَدَمَيْهِ إِلَى الْكَعْبَيْنِ إِلا خَرَّتْ خَطَايَا رِجْلَيْهِ مِنْ أُنَامِلِهِ مَعَ الْمَاءِ ، فَإِنْ هُوَ قَامَ فَصَلَّى فَحَمِدَ اللهُ تَعَالَى وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَمَجَّدَهُ (٦٥٨) بِالَّذِي هُوَ لَهُ أَهْلٌ وَفَرَّغَ قَلْبَهُ لِلَّهِ تَعَالَى إِلا انْصَرَفَ مِنْ خَطِيئَتِهِ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ .» .

فَحَدَّثَ عَمْرُو بْنُ عَبْسَةَ بِهَذَا الْحَدِيثِ أَبَا أُمَامَةَ صَاحِبَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، فَقَالَ لَهُ أَبُو أُمَامَةَ : يَا عَمْرُو بْنُ عَبْسَةَ انظُرْ مَا تَقُولُ فِي مَقَامٍ وَاحِدٍ يُعْطَى هَذَا الرَّجُلُ ؟ فَقَالَ عَمْرُو : يَا أَبَا أُمَامَةَ لَقَدْ كَبُرَتْ (٦٥٩) سِنِّي (٦٦٠) وَرَقَّ عَظْمِي (٦٦١) وَاقْتَرَبَ (٦٦٢) أَجَلِي وَمَا بِي حَاجَةٌ (٦٦٣) أَنْ أَكْذِبَ عَلَى اللهِ تَعَالَى وَلَا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ لَوْ لَمْ أَسْمَعْهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلا مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا ، حَتَّى عَدُّ سَبْعِ مَرَاتٍ ، مَا حَدَّثْتُ أَبَدًا بِهِ وَلَكِنِّي سَمِعْتُهُ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ .» . رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

فَفِي هَذَا الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ الصَّحِيحِ يَجِبُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ بَعْضِ التَّسْأُولَاتِ الْهَامَةِ الَّتِي وَجَّهَهَا إِلَيْهِ هَذَا الرَّجُلُ الْمَوْفِقُ وَهُوَ (عَمْرُو بْنُ عَبْسَةَ السَّلْمِيُّ) رَضِيَ اللهُ عَنْهُ الَّذِي كَانَ قَدْ اتَّقَى بِرَسُولِ اللهِ ﷺ بِمَكَّةَ فِي الْمَرَحَلَةِ الْأُولَى مِنَ الْإِسْلَامِ ، وَالتَّى كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَدْعُو فِيهَا إِلَى اللهِ تَعَالَى سِرًّا .. فَتَلَطَّفَ - أَيْ : تَرَفَّقَ فِي الْأَمْرِ مَعَ قَرَشِيِّ - حَتَّى دَخَلَ عَلَيْهِ ثُمَّ سَأَلَهُ : ( مَا أَنْتَ ؟ قَالَ : أَنَا نَبِيٌّ ) ثُمَّ يَقُولُ : ( فَقُلْتُ وَمَا نَبِيٌّ ؟ ) أَيْ : مَا حَقِيقَةُ النَّبِيِّ الْمُمَيَّزَةِ لَهُ عَنْ سِوَاهُ ( قَالَ : أُرْسَلُنِي اللهُ ) أَيْ : أُرْسَلُ اللهُ إِلَيَّ ( قُلْتُ : بِأَيِّ شَيْءٍ أُرْسَلْتُ ؟ قَالَ : أُرْسَلُنِي بِصَلَةِ الْأَرْحَامِ ، وَكَسْرِ الْأَوْثَانِ وَأَنْ يُوحَّدَ اللهُ لَا يُشْرَكَ بِهِ شَيْءٌ ) فَفِي هَذَا دَلَالَةٌ ظَاهِرَةٌ عَلَى الْحَثِّ عَلَى صَلَةِ الْأَرْحَامِ لِأَنَّ اللهُ تَعَالَى قَرَنَهَا بِالتَّوْحِيدِ وَلَمْ يَذْكُرْ جَزْئِيَّاتِ الْأُمُورِ وَإِنَّمَا ذَكَرَ مَهْمَهَا وَبَدَأَ بِالصَّلَةِ ..

(٦٥٧) أَيْ : أَطْرَافِ أَصَابِعِهِ .

(٦٥٨) وَصَفَهُ وَعَظَّمَهُ .

(٦٥٩) أَيْ : تَقَدَّمْتُ .

(٦٦٠) أَيْ : عَمَرِي .

(٦٦١) أَيْ : نَحَفْتُ وَنَحَلْتُ .

(٦٦٢) أَيْ : قَرَّبْتُ .

(٦٦٣) دَاعِيَةً .

( قلت : فمن معك على هذا ؟ قال : حر وعبد ومعه يومئذ أبو بكر وبلال رضى الله عنهما ، فقلت : إني مُتبعك ) أى : على إظهار الإسلام هنا وإقامتى معك ( قال : إنك لن تستطيع ذلك يومك هذا ) أى : فى هذا الزمن الحاضر وذلك لضعف شوكة الإسلام فيُخافُ عليك من أذى كفار قريش ( ولكن ارجع إلى أمك ) .

قال القاضى عياض : ليس معناه أنه رَدُّه دون إسلام ، وإنما رده عن صحبته واتباعه ، لانه كان فى أول الإسلام وقبل قوته فخاف عليه لغربته أن تُهلكه قريش أو تقتله أ. هـ .

وحينئذ فتقدير الكلام (٦٦٤) .. لكن قد حصل أجرك فابق على إسلامك وأرجع إلى قومك وأستمر على إسلامك حتى تعلمنى ظهرت ( فإذا سمعتُ بى قد ظهرتُ فأتنى ) فيه معجزة للنبي ﷺ وهى إعلامه بأنه سيظهر فكان كما أخبر ( فذهبت ) أى : رجعتُ ( إلى أهلى ، وقدم رسول الله ﷺ المدينة وكنت فى أهلى ) أى : مقيماً فيهم ( فجعلتُ ) من أفعال الشروع ( اتخبرُ الأخبار ) أى : أتكلف الوقوف عليها وأعانى ذلك ( وأسأل الناس حين قدم المدينة ) أى : وقتُ قدومه لها ( حتى قدم نفر (٦٦٥) من أهل المدينة ) أى : المقيمين بها القاطنين فيها ( فقلتُ : ما فعل هذا الرجل الذى قدم المدينة ؟ فقالوا : الناس إليه سراع ) بكسر السين أى : مسرعين ( وقد أراد قومه ) أى : كفار قريش ( قتله ) بأنواع من المكر والخديعة المذكورة عنهم فى كتب السير ( فلم يستطيعوا ذلك ) بل رَدُّ الله كيدهم فى نحرهم وحفظُ نبيه ﷺ من ذلك ( فقدمتُ المدينة ) أى : امتثالاً لقوله : - ( فإذا سمعتُ بى قد ظهرتُ فأتنى ) - ( فدخلتُ عليه فقلت : يا رسول الله أتعرفنى ؟ قال : نعم ، قال : فقلت : أخبرنى عما علمك الله ) أى : أخبرنى عن حكمه وصفته وبيئته لى ( وأجهله ) يُحتمل أن يكون الاحتراز عما علمه منه ﷺ فى اجتماعه السابق به ( أخبرنى عن الصلاة ) أى : النافلة ( قال : صلِّ الصبح ثم أقصر ) بضم الصاد أى أقعد ( عن الصلاة ) أى النفل المطلق الذى لا سبب له أو له سبب متأخر ( حتى تطلع الشمس حتى ترتفع ) والمراد ارتفاعها كرمح فى رأى العين .. ثم النافلة تحرم من صلاة الصبح إلى ارتفاعها على من صلى الصبح ، أما من لم يصلها فلا تحرم عليه إلا من طلوع الشمس لا قبل ، إلى الغاية المذكورة ( فإنها ) أى الشمس ( تطلعُ ) بضم اللام ( حين تطلعُ ) أى :

( ٦٦٤ ) كما يقول فى ( دليل الفالحين ) .

( ٦٦٥ ) نفر ما بين الثلاثة والتسعة ، وقيل : السبعة من الرجال .

وقت طلوعها ( بين قرنى شيطان ) وتنكير شيطان لتحقيره ، وقرناه : ناحيتا رأسه ..  
وسُمى شيطاناً لتمرده وُعْتُوهُ وكل مارِد عَاتِ شيطان ، والأظهر أنه مشتق من شَطَنَ إذا  
بعد لبعده من الخير والرحمة ، وقيل : من شاط إذا هلك واحترق .. والمعنى أى : المصلى  
حينئذ كالساجد للشيطان ( وحينئذ يسجد لها الكفار ) أى : وحين تطلع بين قرنيه .

قال القاضى عياض : هذا يدل على صحة تأويل من جعله على ظاهره وأن الشيطان  
يفعل ذلك ويتناول لها ليخادع نفسه أن السجود له ( ثم صلِّ ) أى : ما شئت من النقل  
( فإن الصلاة مشهودةٌ محضورةٌ ) أى : يحضرها الملائكة فهي أقرب إلى القبول  
وخصول الرحمة .

قال فى فتح الإله : أى : تحضرها ملائكة النهار لتكتبها وتشهد بها لمن صلاها ..  
( حتى يستقل ) من القلة لا من الإقلال الذى هو الارتفاع وهو غاية لقوله صلِّ ( الخلل  
بالرمح ) المغروس بالأرض .. أى : حتى يستقل الرمح بالظل أى : يبلغ ظله أدنى غاية  
النقص .. ( ثم أقصر عن الصلاة فإنه حينئذ تسجر ) أى : تهيج بالوقود ( جهنم )  
وتسجر بتقدير أن المصدرية قبله اسم إن .. ( فإذا أقبل الفىء ) أى : إلى جهة المشرق ،  
وألفىء مختص بما بعد الزوال ، وأما الظل فيقع على ما قبل الزوال وبعده .. ( فصلٌ  
فإن الصلاة مشهودة محضورة حتى تُصلى العصر ) قال المصنف : فيه دليل على أن  
النهي لا يدخل بدخول وقت العصر ولا بصلاة غير الإنسان ، وإنما يكره لكل بصلاته  
حتى لو أخرها عن أول الوقت لم يكره التنفل أ . هـ .

ومراده أخرها عن أول الوقت لما تقرر أنها من الاصفرار يكره لمن صلى ولغيره ( ثم  
أقصر عن الصلاة ) أى : النافلة التى لا سبب لها أو لها سبب متأخر ( حتى تغرب  
الشمس فإنها تغرب بين قرنى شيطان ) فى تنكيره ما مر أى : لتحقيره ( وحينئذ يسجد  
لها الكفار ) هذه حكمة النهى ، وليست بعلة لعدم أطرادها ، وإلا لنهى عن ذات السبب  
وفى مكة أيضاً .

قال العز بن عبد السلام : التعليل لذلك لا يظهر ، لأن تعظيم الله فى وقت يسجد فيه  
لغيره أولى لما فيه من إرغام أعدائه (٦٦٦) ، ولو صح التعليل فأى فرق بين ذى  
السبب وغيره أ . هـ .

وأجيب بأنها حكمة فلا يلزم أطرادها ووجه اختصاصها بغير ذى السبب وبوقتى  
الطلوع والغروب أن إنشاء صلاة لا سبب لها فى هذا الوقت فيه نوع تشبه بالكفار فى

---

( ٦٦٦ ) إرغام أعدائه : قهرهم وتحزين نفوسهم .

عبادتهم للشمس حينئذ ، وقد نهينا عن التشبه بهم ، بل وعما يؤدي إليه أو يوهم ، ولا شك أن إيقاع ذلك حينئذ يستلزم ذلك بخلاف ذات السبب كالعيد والضحي بناء على دخول وقتها بالطلوع ، فإن ظهور السبب الحامل عليها ينفي ذلك ...

هذا .. وأحب بعد هذا التلخيص الوارد حول شرح الحديث — الذى ندور حوله — فى كتاب : ( دليل الفالحين ) أن أزيد الأَخ القارىء بإيجاز مفيد آخر قرأته فى كتاب ( الفقه الواضح ) تحت عنوان .

### ✽ الأوقات المنهى عن التنفل فيها :

يقول فيه (٦٦٧) : هناك أوقات نهى رسول الله ﷺ عن التنفل فيها ، سنذكرها لك هنا بالتفصيل ، ثم نبين ما إذا كان النهى للكرامة ، أو للتحريم .

١ ، ٢ - الوقت ما بين صلاة الصبح ، وطلوع الشمس .

والوقت ما بين صلاة العصر ، وغروب الشمس .

وذلك لما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : حدثنى أناس أحبهم إلى عمر رضى الله عنه : أن النبى ﷺ : نهى عن الصلاة بعد العصر ، حتى تغرب الشمس ، وبعد الصبح حتى تطلع الشمس .

وفى رواية للبخارى ومسلم عنه — أيضًا — قال : شهد عندى رجال مرضيون ، وأرضاهم عندى عمر رضى الله عنه ، أن رسول الله ﷺ نهى عن الصلاة بعد الصبح حتى تشرق ، وبعد العصر حتى تغرب ، وهذا النهى لمن كان قد صلى الصبح والعصر .

أما من لم يكن قد صلى الصبح ، أو العصر ، فلا بأس أن يُصلي نفلًا ، مثل سنة الفجر ، وسنة العصر .

قال بذلك جمهور الفقهاء .

٣ ، ٤ ، ٥ - الوقت من طلوع الشمس حتى ترتفع قدر رُمح ، ووقت الاستواء . وهو الوقت الذى تكون فيه الشمس فى وسط السماء — أى : قبل الظهر بدقائق ، وعند غروب الشمس .

---

( ٦٦٧ ) الأستاذ الدكتور / محمد بكر إسماعيل - أكرمه الله .

عن عقبة بن عامر رضى الله عنه ، قال : « ثلاث ساعات ، كان رسول الله ﷺ ينهانا أن نُصَلِّيَ فيهنَّ ، أو نقبر (٦٦٨) موتانا ، حين تطلع الشمس بارزعة حتى ترتفع ، وحين يَقُوم قائم (٦٦٩) الظهيرة ، وحين تضيف (٦٧٠) الشمس للغروب . » . رواه مسلم .

ويجمع هذه الأوقات الخمسة ، حديث عمرو بن عبسة رضى الله عنه - وهو الذى ندور حوله - قال : « قلت : يانبي الله أخبرنى عن الصلاة . قال : صَلِّ صلاة الصبح ، ثم أقصر عن الصلاة ، حتى تطلع الشمس حتى ترتفع ، فإنها تطُوع ، حين تطلع بين قرنى شيطان ، وحينئذ يسجد لها الكفار ، ثم صَلِّ فإن الصلاة مشهودة محضورة ، حتى يستقل الظل بالرمح ، ثم أقصر عن الصلاة فإنه حينئذ تسجر جهنم ، فإذا أقبل الفياء فصلِّ ، فإن الصلاة مشهودة محضورة ، حتى تُصَلِّيَ العصر ، ثم أقصر عن الصلاة ، حتى تغرب الشمس ، فإنها تغرب بين قرنى شيطان ، وحينئذ يسجد لها الكفار . » . رواه مسلم .

هذا . والنهى عن التنفل في هذه الأوقات الخمس عام ، يشمل جميع النوافل .

خلافاً للشافعية ، فإنهم قالوا : إن النهى مُنصب على النفل ، الذى ليس له سبب .

أما النفل الذى له سبب ، مثل تحية المسجد ، وسنة الوضوء ، وسجدة التلاوة ، فإنه لا يكره في هذه الأوقات .

ووافقهم الحنابلة في جواز صلاة تحية المسجد ، والإمام على المنبر ، على ما سيأتى بيانه ، وخالفوهم فيما سوى ذلك .

٦ - التنفل عند إقامة الصلاة : وهو منهى عنه ، بدليل قوله ﷺ : « إذا أُقيمت الصلاة ، فلا صلاة إلا المكتوبة » رواه مسلم عن أبى هريرة .. أى : فلا تُصلوا إلا الصلاة المفروضة ، التى أقام لها المؤذن .

وقد اختلف الفقهاء فيمن صلى ركعتين ، عند إقامة الصلاة ، هل تنعقد صلاته وتكون صحيحة ، أو لا تنعقد ، ولا تصح ؟

( ٦٦٨ ) أى : ندفن موتانا .

( ٦٦٩ ) أى : عند الاستواء وهو توسط الشمس في السماء .

( ٦٧٠ ) أى : تميل إلى الغروب .

## ❖ قولان :

فمن قال بصحتها ، حمل النهى على الكراهة ، ونفى الكمال .  
ومن قال بعدم صحتها ، حمل النهى على التحريم ، وعدم الصحة ، أى : إذا أقيمت الصلاة ، فلا تصح صلاة إلا الصلاة المفروضة .  
واختلفوا أيضًا فيمن شرع في صلاة النافلة ، قبل الإقامة ، ولم يتم صلاته . هل يقطعها ، أو يتمها ؟

قال كثير من الفقهاء : يتمها ما دام قد شرع فيها قبل الإقامة ، ولا يقطعها ، لقوله تعالى : ﴿ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ ﴾ (٦٧١) ، ما لم يخف فوات ركعة مع الإمام .

وقيل : لا يقطعها ، حتى ولو خاف فوات ركعة مع الإمام ، لأنه عمل صالح ، نهانا الله عن إبطاله في قوله جل وعلا : ﴿ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ ﴾ .

وقال جماعة من الفقهاء : يقطع الصلاة ، ما لم يركع ، فإن ركع ، فقد انعقدت الصلاة ، فلا ينبغي أن يقطعها ، بل يُتِمُّهَا ، وَيُخَفِّفُهَا ، حتى يدرك الصلاة مع الإمام ، قبل أن يركع للركعة الأولى .

هذا . وقد استثنى بعض الفقهاء على اختلاف مذاهبهم من النهى ركعتى الفجر . فقالوا : من سَمِعَ الإقامة لصلاة الصبح ، ولم يكن قد ركع ركعتى الفجر المسنونة ، فله أن يركعها خارج المسجد ، أو داخله ، ما لم يخف فوات ركعة مع الإمام .. واستدلوا على ذلك بفعل بعض الصحابة مثل عبد الله بن عباس ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن مسعود - رضى الله عنهم - فعن زيد بن أسلم رضى الله عنه : أن ابن عمر رضى الله عنهما جاء والإمام يُصلى الصبح ، ولم يكن صلى الركعتين قبل صلاة الصبح ، فصلاهما في حجرة حفصة ، وصلى مع الإمام .

وقال أبو عثمان الأنصارى : « جاء عبد الله بن عباس ، والإمام في صلاة الغداة (٦٧٢) ، ولم يكن صلى الركعتين ، فصلى الركعتين خلف الإمام ، ثم دخل معه . » أى صلى وراءه في آخر المسجد منفردا ثم اقتدى به في صلاة الصبح .

(٦٧١) سورة محمد - الآية ٢٣ .

(٦٧٢) أى . الصبح .

وعن أبي الدرداء رضى الله عنه أنه كان يدخل المسجد ، ثم يدخل مع القوم في الصلاة .

أخرج هذه الآثار الثلاثة الطحاوى .

وقال أبو موسى : « أُقيمت الصلاة ، فتقدم عبد الله بن مسعود إلى اسطوانة (٦٧٣) في المسجد فصلى ركعتين ، ثم دخل يعنى في الصلاة » أخرجه الطبرانى في الكبير . ورجاله ثقات .

وذهب جمهور كبير من الفقهاء إلى تعميم النهى ، في كل صلاة ، لعموم قوله ﷺ : « إذا أُقيمت الصلاة ، فلا صلاة إلا المكتوبة » .

ولقول أبي موسى رضى الله عنه : أن رسول الله ﷺ رأى رجلاً صلى ركعتي الغداة ، حين أخذ المؤذن يُقيم ، فغمز النبي ﷺ منكبه ، وقال : « ألا كان هذا قبل هذا » . أخرجه الطبرانى ورجاله ثقات .

وهذا القول هو الأصح ، لورود الأحاديث المصريحة بنهيه ﷺ عن صلاة التطوع مطلقاً ، عند إقامة الصلاة ، ولاسيما حديث أبي موسى هذا ، فإن فيه نهى الرسول ﷺ الرجل عن صلاة ركعتي الغداة حين رآه قد صلاهما عند شروع المؤذن في الإقامة ، وقال له : « ألا كان هذا قبل هذا » .

٧ - الصلاة والإمام يخطب : فقد اتفق الأئمة على حرمة الصلاة ، والإمام يخطب في حق من كان جالساً قبل صعود الإمام على المنبر لأن التنفل مستحب ، وسماع الخطبة فرض ، والفرض مقدم على المستحب .

واختلفوا فيمن لم يكن قد صلى الصبح ، وذكره أثناء الخطبة .

فقال المالكية : يقوم لصلاة الصبح ، لأن صحة الجمعة تتوقف على صلاته ، بناء على أن الترتيب بين الصلوات واجب ، إذا كانت خمس صلوات فأقل ، وبذلك قال الحنفيون أيضاً ، واختلفوا فيمن أتى المسجد ، والإمام على المنبر ، ولم يكن قد صلى تحية المسجد .

فقال المالكية والحنفية : يجلس لسماع الخطبة ، ولا يُصلى تحية المسجد ، لأن التحية سنة ، وسماع الخطبة فرض ، والفرض مقدم على السنة . ولأن النبي ﷺ قد

(٦٧٣) أى : إلى عمود اتخذه سترًا .

نهى عن الكلام أثناء الخطبة ، حتى ولو كان أمرًا بمعروف ، أو نهياً عن منكر ، فتحية المسجد من باب أولى .

**وجوُز الشافعية والحنابلة :** لمن أتى المسجد ، ولم يكن قد صلى التحية أن يركع ركعتين خفيفتين ، والإمام يخطب ، مستدلين بحديث سُلَيْك الغطفانى الذى رواه مسلم عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال : جاء سُلَيْك الغطفانى يوم الجمعة ، ورسول الله ﷺ يخطب ، فجلس ، فقال له « يا سُلَيْك قم فاركع ركعتين ، وتجوُز فيهما . ثم قال : إذا جاء أحدكم يوم الجمعة ، والإمام يخطب ، فليركع ركعتين ، وليتجوُز فيهما(\*) » .

ثم يقول بعد ذلك في ( الفقه الواضح ) تحت عنوان :

## ❖ هل النهى للكره أم للتحريم ؟

اختلف الفقهاء في هذا النهى عن الصلاة في هذه الأوقات المتقدم ذكرها ، هل هو للكره ، أم للتحريم ؟

للشافعية قولان : قول بأن النهى للكره التنزيهية .  
وقول بأنه لكره التحريم .

وقال المالكية : النهى عن الصلاة بعد صلاة الصبح والعصر للكره .. وأما النهى عن الصلاة عند طلوع الشمس وعند غروبها ، فللتحريم ، لما فيه من التشبه بعباد الشمس . وكذلك التنقل عند إقامة الصلاة ، وعندما يكون الإمام على المنبر يوم الجمعة . أ . هـ .

وتلك هى الخلاصة التى أستريح إليها ، والتى أرجو أن ينتفع بها الأخ المسلم حتى لا يفعل مكروهاً .. بل وحتى يكون بسبب هذا العلم النافع من أهل الفقه فى الدين .

وإذا كان لنا بعد ذلك أن نعود إلى الحديث الشريف - الذى ندور حوله - فقد قال عمرو بن عبسة : « قال : فقلتُ : يا نبي الله فالوضوء حدثنى عنه ؟ فقال : « ما منكم رجلٌ يُقَرِّبُ وضوءه فيتمضمض ويستنشق فيستنثر إلا خرَّت خطايا وجهه وفيه وخياشيمه ، ثم إذا غسل وجهه كما أمره الله إلا خرَّت خطايا وجهه من أطراف

(\*) أى يخففهما .

لحيته مع الماء ، ثم يغسل يديه إلى المرفقين إلا خُرَّت خطايا يديه من أنامله مع الماء ، ثم يمسح رأسه إلا خُرَّت خطايا رأسه من أطراف شعره مع الماء ، ثم يغسل قدميه إلى الكعبين إلا خُرَّت خطايا رجليه من أنامله مع الماء ، فإن هو قام فَصَلَّى فحمد الله تعالى وأثنى عليه ومَجَّدَه بالذی هُوَ لَهُ أَهْلٌ ، وَفَرَّغَ قلبه لله تعالى إلا انصرف من خطيئته كهيئته يوم ولدته أمُّه .» .

وهذا معناه أن الوضوء الصحيح يكفر الذنوب - الصغائر - التي ارتكبتها المسلم قبله وقد ورد في هذا أحاديث كثيرة ( منها ) .

( حديث ) أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « إذا توضأ العبد المسلم أو المؤمن فغسل وجهه ، خرجت من وجهه كل خطيئة نظر إليها بعينه مع الماء أو مع آخر قطر الماء . فإذا غسل يديه خرجت من يديه كل خطيئة بطشتها يده مع الماء أو مع آخر قطر الماء ، فإذا غسل رجليه خرجت كل خطيئة مشتها رجلاه مع الماء أو مع آخر قطر الماء حتى يخرج نقياً من الذنوب .» .

أخرجه مالك وأحمد ومسلم والترمذى وقال - حسن صحيح .

( وحديث ) عبد الله الصُّنَابِحِيُّ أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « إذا توضأ العبد المؤمن فتمضمض خرجت الخطايا من فيه ، فإذا استنثر خرجت الخطايا من أنفه ، فإذا غسل وجهه خرجت الخطايا من وجهه حتى تخرج من تحت أشفار عينيه<sup>(٦٧٤)</sup> ، فإذا غسل يديه خرجت الخطايا من يديه حتى تخرج من تحت أظفار يديه ، فإذا مسح رأسه خرجت الخطايا من رأسه حتى تخرج من أذنيه ، فإذا غسل رجليه خرجت الخطايا من رجليه حتى تخرج من تحت أظفار رجليه ، ثم كان مشيه إلى المسجد وصلاته نافذة له » أخرجه مالك وأحمد والنسائي والحاكم ، وقال : حديث صحيح على شرط الشيخين ، وليس له علة .

وعن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « ألا أدلكم على ما يكفر الله به الخطايا ويزيد به الحسنات ؟ قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : إسباغ الوضوء على المكاره ، وكثرة الخطا إلى المساجد ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة .» . أخرجه أحمد وابن حبان .

( ٦٧٤ ) الأشفار : جمع شفر بضم فسكون . اصل منبت الشعر ل الجفن .

وعن عثمان بن عفان أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « من تَوَضَّأَ فَاسْبِغِ الوُضُوءَ ثُمَّ مَشَى إِلَى صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ فَصَلَّاهَا ، عُفِّرَ لَهُ ذَنْبِهِ » . أخرجه أحمد ومسلم وابن خزيمة .

وإذا كنت قد أشرتُ إلى أن الرضوء يكفر الذنوب الصغائر .. فإننى أيضاً أنكر الأخ المسلم بأن تحقيق هذا يتوقف على تنفيذ شرط هام .. ألا وهو اجتناب الكبائر ، كما يشير إلى هذا قول الله تبارك وتعالى : ﴿ إِنْ تَجْتَنِبُوا كِبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلَكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا ﴾ (٦٧٥) .

كما نذكره أيضاً بأن الكبائر جمع كبيرة ، وهى ما ورد فيها تحذير شديد ، وغلظت عقوبتها ، وأكبر الكبائر : الشرك بالله ، ويليهِ قتل النفس بغير حق ، والزنا ، والسرقه ، وأكل مال اليتيم ، وأكل الربا ، وشرب الخمر ، وعقوق الوالدين ، والفرار من ميدان المعركة ، وعمل السحر ، والكذب ، وقول الزور ، وتبذير المال فى غير محله ، والقذف ، وهو : رمى العفيف بالزنا ...

وقد جمع أبو طالب المكى رحمه الله تعالى الكبائر على النحو التالى ، الذى ذُكرت به قبل ذلك ، وأرى إعادته هنا للتذكير به فى هذا الموقع بالذات ، وأيضاً لتأكيد المعنى المراد من هذا التذكير :

أربعة فى القلب وهى : الشرك بالله تعالى ، والإصرار على معصية الله تعالى ، والقنوط من رحمة الله تعالى ، والأمن من مكر الله تعالى .

وأربعة فى اللسان وهى : شهادة الزور ، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات ، واليمين الغموس ، والسحر .

وثلاثة فى البطن وهى : شرب الخمر ، وأكل مال اليتيم ، وأكل الربا وهو يعلم .

واثنتان فى اليدين وهما : القتل ، والسرقه .

واثنتان فى الفرج وهما : الزنا ، واللواط .

وواحدة فى الرِّجْل وهى : الفرار من الزحف .

وواحدة فى جميع البدن وهى : عقوق الوالدين .

---

( ٦٧٥ ) سورة النساء : الآية ٢١ .

وهذه الكبائر لا يكفرها إلا التوبة الصادقة المشار إليها في قول الله تعالى : ﴿ ومن تاب وعمل صالحاً فإنه يتوب إلى الله متاباً ﴾ (٦٧٦).

هذا ، وإذا كان ختام الحديث - الذى ندور حوله - يشير إلى ضرورة تحرى الصدق في تبليغ حديث رسول الله ﷺ .. فإننى أذكرُ الأخ المسلم بهذين الحديثين الشريفين اللذين أرجو أن ينتفع بهما .

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من كذب على مُتَعَمِّداً فليتبوأ مقعده من النار » . رواه البخارى ومسلم وغيرهما .

وعن سمرة بن جندب رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال : « من حَدَّث عني بحديث يرى أنه كذب (٦٧٧) فهو أحد الكاذبين » . رواه مسلم وغيره .

وفي رواية ( فهو أحد الكذابين ) ، وفي هذا الحديث (٦٧٨) وعيد شديد لأولئك المتساهلين من المحدثين الذين يملأون دواوينهم بالأحاديث الواهية والموضوعة وهم يعرفون ضعفها وبطلان أسانيدها من أمثال أبى نعيم فى الحلية ، والديلمى فى الفردوس ، والحاكم فى مستدركه ، والسيوطى فى جوامعه ، ويستبجحون رواية المناكير والموضوعات فى باب الترغيب والترهيب وفى فضائل الأعمال .

وهو يعنى بهذا أن لا نركز على هذه الأحاديث فى وعظنا وإرشادنا لأنها ليست فى قوة الصحيح .

فعلى الأخ المسلم أن يلاحظ كل هذا حتى لا يقع فيه ، وهو يسأله سبحانه وتعالى أن يعافينا وإياه منه ، وليكن أيضاً فى نفس الوقت حريصاً على أن يكون من الذين دعا لهم النبى صلوات الله وسلامه عليه فى قوله الذى ورد :

عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « نُصِّرَ اللهُ امْرَأً سَمِعَ مِنَّا شَيْئاً فَتَلَّغَهُ كَمَا سَمِعَهُ (٦٧٩) ، قَرُبَ مُبْلَغٌ أَوْ عَمِيَ مِنْ سَامِعٍ » . رواه أبى داود والترمذى وابن حبان فى صحيحه إلا أنه قال : ( رحم الله امراً ) وقال الترمذى :

---

( ٦٧٦ ) سورة الفرقان : الآية ٧١ .

( ٦٧٧ ) أى : يعلم أنه مختلق وموضوع .

( ٦٧٨ ) كما جاء فى هامش الترغيب والترهيب ج ١ تعليق الشيخ خليل الهراس رحمه الله تعالى .

( ٦٧٩ ) أى : على الوجه الذى سمعه من غير زيادة ولا نقص يخل بأصل المعنى ، فمن زاد أو نقص هو مغير لا مبلغ .

حديث حسن صحيح .

قوله ( نَضْر ) بتشديد الضاد المعجمة وتخفيفها حكاية الخطابي ، ومعناه الدعاء له بالنضارة ، وهى النعمة والبهجة والحسن ، فيكون تقديره : جَعَلَهُ اللهُ وَزِيْنَةً ، وقيل : غير ذلك .

أسأل الله تعالى أن يجعلنا أهلاً لهذا الدعاء المحمدي ، والله ولى التوفيق .،

## ( ١٠٠ ) أَلِيْ هَذَا .. يَا رَسُولَ اللهِ .. ؟

عن ابن مسعود رضى الله عنه أن رجلاً أصاب من امرأة قبله فأتى النبي ﷺ فأخبره فأنزل الله تعالى : ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النُّهَارِ ﴾ (٦٨٠) وَزُلْفَا (٦٨١) مِنَ اللَّيْلِ إِنْ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ (٦٨٢) السَّيِّئَاتِ ﴿ (٦٨٣) ، فقال الرجل : ألي هذا (٦٨٤) يا رسول الله ؟ قال : « لَجَمِيعِ أُمَّتِي كُلِّهِمْ » . متفق عليه .

وعن أنس رضى الله عنه قال : جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله أصبتُ حَدًّا فأقمه عليّ ، وحضرت الصلاة فصلّى مع رسول الله ﷺ فلما قضى الصلاة قال : يا رسول الله إنى أصبتُ حَدًّا فأقم في كتاب الله . قال : « هل حضرت معنا الصلاة ؟ » قال : نعم ، قال : « قَدْ غَفِرَ لَكَ » . متفق عليه .

وتوله ( أصبتُ حَدًّا ) معناه : معصيةً توجب التعزير وليس المراد الحد الشرعيّ الحقيقي كحد الزنا والخمر وغيرهما ، فإن هذه الحدود لا تسقط بالصلاة ولا يجوز للإمام تركها .

ففى هذين الحديثين الشريفين المتفق عليهما يشير فيهما النبي صلوات الله وسلامه عليه من خلال موضوع الحديثين إلى أهم ما ينبغى على المسلم أن يكون على علم به ..

( ٦٨٠ ) غدوة وعشية .

( ٦٨١ ) ساعات قربية من النهار أى : المغرب والعشاء ، والطرف الأول : الصبح والظهر والعصر .

( ٦٨٢ ) أى : يكفرنها .

( ٦٨٣ ) سورة هود الآية ١١٤ .

( ٦٨٤ ) أى : إن صلاتي تذهب معصيتي ؟ .

حتى يخاف من الله تبارك وتعالى ، وحتى يستبشر في نفس الوقت برحمة الله تبارك وتعالى الذى يقول : ﴿ قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم ﴾ (٦٨٥).

وعن أبى ذر رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يقول الله عز وجل : من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها أو أزيد ، ومن جاء بالسيئة فجزاء سيئة سيئة مثلها ، أو أعقر ، ومن تقرب منى شبراً تقربت منه ذراعاً ، ومن تقرب منى ذراعاً تقربت منه باعاً ، ومن أتانى يمشى أتيتُهُ هرولةً ، ومن لقينى بقراب الأرض خطيئة لا يُشرك بى شيئاً لقيتُهُ بمثلها مغفرةً » . رواه مسلم .

ومعنى الحديث : من تقرب إلى بطاعتي تقربت إليه برحمتى وإن زاد زدت ، فإن أتانى يمشى وأسرع فى طاعتي أتيتُهُ هرولة أى أصيبتُ عليه الرحمة وسبقته بها ولم أحوجه إلى المشى الكثير فى الوصول إلى المقصود ، وقراب الأرض بضم القاف ، ويقال بكسرها والضم أصح وأشهر ، ومعناه : ما يقارب ملأها ، والله أعلم .

وألُقاعدة الأساسية فى تحقيق هذه المغفرة لابد وأن تكون توحيداً خالصاً لله تبارك وتعالى ، الذى قال : ﴿ لا يغفر أن يُشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾ .

وعن أنس رضى الله عنه : « أن النبى ﷺ ومعاذ رديفُهُ على الرُّحْل ، قال : يامعاذ ! قال : لبيك يا رسول الله وسعديك ، قال : يا معاذ ! قال : لبيك يا رسول الله وسعديك ، قال : ما من عبد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله صدقاً من قلبه إلا حرمه الله حلى النار ، قال : يا رسول الله أفلا أُخبر بها الناس فليستبشروا ؟ قال : إذا يتكلموا ، فأخبر بها معاذٌ عند موته تأثماً » . متفق عليه .

ومعنى : « إذا يتكلموا » . أى : يتركوا الأعمال ويتكلموا على ذلك فيفوتهم بذلك على المنازل فى العقبى ، وهو ﷺ لمزيد اهتمامه بأئمة وأعتائه بشأنهم لا يريد لهم إلا المنازل العُلا ، فأشار إلى معاذ بالترك لأنه رأى الثمرة المترتبة عليه أتم من المترتبة على الإعلام ، ( فأخبر بها معاذ عند موته تأثماً ) أى : خوفاً من الإثم فى كتم هذا العلم ، أى : كتم هذا القدر منه ، لأن الله تعالى يقول : ﴿ إن الذين يكتُمون ما أنزلنا من البيئات والهدى من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون ﴾ .

( ٦٨٥ ) سورة الزمر . الآية ٥٢ .

البقرة : ١٥٩ ، أى : أولئك الكاتمون لأمر محمد ولدينه ، يطردهم الله من رحمته ، وتلعنهم الملائكة والمؤمنون .

وعن جابر رضى الله عنه قال : جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ما الموجبتان ؟ قال : « من مات لا يُشرك بالله شيئاً دخل الجنة ، ومن مات يُشرك به شيئاً دخل النار » رواه مسلم .

وقوله : ( دخل الجنة ) أى : إن لم يمت مُصِراً على الكبائر ، وإن مات مُصِراً عليها فهو تحت المشيئة إن شاء عذبه ثم أدخله الجنة ، وإن شاء أدخله إياها - أى الجنة - ابتداءً بفضله .

وقوله : ( دخل النار ) أى : وخُلِدَ فيها ولم يخرج منها أبداً لا فرق بين كِتَابِيّ وعابدٍ وَثَنٍ وسائر الكفرة ، ولا فرق عند أهل الحق بين الكافر عناداً وغيره ، ولا بين من خالف مِلَّةَ الإسلام ولا من انتسب إليها ، ثم حكم بكفره بجحده ما يكفر بجحده أو غير ذلك ، أما الشرك الخفى من الرياء والسمعة فلا يقتضى أن يؤبَدَ في النار إذا مات صاحبها على الإيمان ... ( كما جاء في دليل الفالحين ) ببيجاز .

هذا ، وإذا كنتُ أخا الإسلام قد استطعت بتوفيق من الله تبارك وتعالى - بهذا التمهيد الهام - أن أرسِّخَ في قلبك حُسْنَ الظن بالله تبارك وتعالى حتى لا تياسَ من رحمة الله .. وحتى تكون بذلك كذلك حريصاً على أن تكون دائماً وأبداً من أهل التوحيد الخالص ...

فإننى أرى أن أقف معك بعد ذلك على شرح الحديثين الشريفين - وببيجاز مفيد - على ضوء ما جاء في ( دليل الفالحين ) ، فإليك :

عن ابن مسعود رضى الله عنه أن رجلاً من الأنصار ، وهو أبو اليسر - كما جاء في أقوى الآراء التى ذكرها الحافظ العسقلانى - وكان قد أصاب ( من امرأة قبلية ) ، وخالصة قصته كما يرويها الترمذى ومن معه عنه ، قال : « أنته امرأة ، وزوجها قد بعته ﷺ في بعثٍ فقالت له : بعنى تمرًا بدرهم ، قال : وأعجبتنى فقلت لها : إن في البيت تمرًا أطيب من هذا ، فانطلق بها ، فغمزها وقبَّلها ثم فرز حتى قالت له : اتق الله ، فخرج فلقى أبا بكر فقال : تُبُّ ولا تُعد ، ثم أتى النبي ﷺ » الحديث : « فاتى النبي ﷺ فأخبره ، فانزل الله تعالى : ﴿ أقم الصلاة ﴾ كذا هو بحذف الواو في الصحيحين والتلاوة بإثباتها ﴿ طرفي النهار ﴾ أى : غدوة وعشية ، وانتصابه على

الظرفية لأنه مضاف إليه ﴿ وَرُفَعًا مِنَ اللَّيْلِ ﴾ أى : ساعات منه قريبة من النهار .

قال المصنف : ويدخل في صلوات طرق النهار : الصبح والظهر والعصر ، وفي رُفَعًا من الليل : المغرب والعشاء .. ﴿ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ﴾ أى : يُكَفِّرُنَهَا ، وفي الحديث الصحيح الذى رواه مسلم يقول صلوات الله وسلامه عليه : « الصلوات الخمس ، والجمعة إلى الجمعة كفارة لما بينهن ، ما لم تُغش الكبائر » .

وفي حديث آخر رواه البخارى ومسلم : يُشَبَّه النَّبِيُّ ﷺ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ فِي مَحْوِهَا لِلذَّنُوبِ ، بنهر جارٍ يغتسل منه المسلم في اليوم واللييلة خمس مرات ، فيقول عليه الصلاة والسلام : « أُرَيتُمْ لَوْ أَنَّ نَهْرًا بِيَابِ أَحَدِكُمْ ، يَغْتَسِلُ فِيهِ كُلُّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ هَلْ يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ ؟ قَالُوا : لَا يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ !! قَالَ : فَكَذَلِكَ مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ ، يَمْحُو اللَّهُ بِهَا الْخَطَايَا » .

وقد روى مسلم في صحيحه عن عثمان بن عفان رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ما من امرئٍ تحضره صلاة مكتوبة ، فيُحَسِّنُ وضوءها وخشوعها وركوعها إلا كانت كفارة لما قبلها من الذنوب ، ما لم تؤت كبيرة ، وذلك الدهر كله » .

قال الإمام الرازى : وفي تفسير الحسنات قولان . قال ابن عباس : معناه الصلوات الخمس مكفرة سائر الذنوب ، إذا اجتنبت الكبائر ، وقال مجاهد : الحسنات قول : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر ..

( فقال الرجل : أئى هذا يا رسول الله ؟ ) يعنى خاص بي : أى : أُنْ صَلَاتِي تُذْهِبُ مَعْصِيَتِي ، وظاهر هذا أن القائل هو السائل ، وعند احمد والطبرانى من حديث ابن عباس : « فقال : يا رسول الله أئى خاصة أم للناس عامة ؟ ف ضرب عُمر ب صدره فقال : لا ونعمة عين بل للناس عامة ، فقال ﷺ : صدق عمر » وهذا من اجتهاد عمر الموافق للصواب ، ولكن جاء عند مسلم في رواية : « فقال معاذ : يا رسول الله أله وحده أم للناس ؟ » ووقع مثله عند الدارقطنى ، قال الحافظ : ويُحْمَلُ عَلَى تَعَدُّدِ السَّائِلِينَ ، وقوله : أئى بفتح الهمزة استفهام والظرف بعده خبر مقدم ، وهذا مبتدأ مؤخر وقُدِّمَ عليه خبره لإفادة التخصيص ( قال لجميع أمتي كلهم ) والمكفر بالحسنات . صفائر الذنوب المتعلقة بحق الله تعالى .

وهذه الملاحظة الأخيرة لأبد وأن ينتفع بها الأخ المسلم ، حتى يرد الحقوق المغتصبة

إلى أصحابها .. إذا أراد أن يقبل الله تعالى توبته .. لأن الله تعالى يُسامح في حَقِّه ولا يُسامحُ في حقوق العباد .

فعن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « لَتُؤَدَّنَ الحقوق إلى أهلها حتى يُقَادَ للشاة الجَلْحَاء من الشاة القِرْنَاء » رواه مسلم .

وعنه رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال : « من كانت عنده مظلمة لأخيه : من عرضِه أو من شيءٍ فليَتَحَلَّهْ منه اليوم قبل أن لا يكون دينارٌ ولا برزهمٌ : إن كان له عملٌ صالحٌ أُخِذَ منه بقدر مظلمته ، وإن لم يكن له حسنات أُخِذَ من سيئاتِ صاحِبِه فحُمِلَ عليه » . رواه البخارى .

وعن أبى أمامة إياس بن ثعلبة الحارثى رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « من اقتطع حقَّ امرئٍ مُسلمٍ بيمينه فقد أوجب الله له النارَ وحَرَّمَ عليه الجنة » . فقال رجل : « وإن كان شيئاً يسيراً يا رسول الله ؟ » فقال : « وإن قَصِيْباً من أراك » رواه مسلم .

وحول قوله ﷺ : « فقد أوجب الله له النار وحرم عليه الجنة » . قال فى ( دليل الفالحين ) : والتقييد بالمسلم لا يدل على عدم تحريم مال الذمى ، بل إنما يدل على هذا الوعيد المذكور .. فاقْتَطَع مال الذمى حرام لكن لا يلزم أن تكون فيه هذه العقوبة العظيمة .. هذا على مذهب من يقول بالمفهوم ، أما من لا يقول بالمفهوم فلا يحتاج إلى تأويل ، ثم قوله ( فقد أوجب الله ) ... إلخ محمول على المستحل لذلك وقد مات كذلك فإنه يَكْفُرُ وَيُخْلَدُ فى النار ، ومعناه أنه استحق هذا ويجوز العفو عنه ، وحرم عليه دخول الجنة أول وهلةٍ مع الفائزين . قاله المصنف : قال : هذا الوعيد لمن مات قبل التوبة : أما من تاب توبةً صحيحةً فندم على فعله وردَّ الحقَّ إلى صاحبه فقد سقط عنه الإثم .

وأما عن ( القضيْب من الأراك ) فإنه من شجر معروف يُستاك بأعواده .. بل هو أفضل ما يستاك به .

والآن نعود إلى الحديث الثانى الذى يتصل اتصالاً وثيقاً بموضوع الحديث الأول الذى أرجو أن ينفعنا الله تعالى به ، وبما وقفنا عليه من خلال شرحه .

فعن أنس رضى الله عنه قال : جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله إنى أصبْتُ حَدًّا ، أى مقتضيه ، والمراد من الحد ما فيه حدُّ التعزير ، أو توهم أن فيه حَدًّا

مخصوصًا « فأقمه على ، وحضرت الصلاة فصلّى مع رسول الله ﷺ ، فلما قضى الصلاة » أى : أتمّها معه ﷺ : « قال : يا رسول الله إنى أصبتُ حدًا فأقم فى كتاب الله ، قال : هل حضرت معنا الصلاة ؟ قال : نعم ، قال : قد غفر لك . »

قال المصنف ، فى ( دليل الفالحين ) : هذا المقتضى للحد فى كلامه معناه معصية من المعاصى الموجبة للتعزير ، وهى هنا من الصفائر لأن كفرتها الصلاة ، ولو كانت كبيرة موجبة لحد أو غير موجبة له لما كفرتها الصلاة ، فقد أجمع العلماء على أن المعاصى الموجبة للحد لا تسقط الحد بالصلاة ، وهى معنى قول المصنف هنا .

ثم يشير بعد ذلك إلى ملاحظة هامة فيقول : « قوله أصبتُ حدًا : معناه معصية توجب التعزير ، وليس المراد الحد الشرعى الحقيقى كحد الزنا والخمر وغيرهما ، فإن هذه الحدود لا تسقط بالصلاة » . أى : بعد تعيينها كما يعلم من الوجه الآتى : « ولا يجوز للإمام تركها » .

قال المصنف فى شرح مسلم - وهذا هو الصحيح فى تفسير هذا الحديث ، وحكى القاضى عن بعضهم أن المراد به الحد المعروف ، قال : وإنما لم يحده لأنه لم يفسر موجب الحد ولم يستفسره ﷺ عنه إيتارًا للستر ، بل استحسب تلقين الرجوع عن الإقرار بموجب الحد صريحًا .

وقد روى النسائى وأحمد عن النبى ﷺ قال « حَدُّ يُقَامُ فى الأَرْضِ خَيْرٌ للنَّاسِ مِنْ أَنْ يُمَطَّرُوا أَرْبَعِينَ صَبَاحًا » .

وروى الترمذى والبيهقى عن النبى ﷺ قال : « ادْرؤُوا الحدودَ عن المسلمين ما استطعتم ، فإن وجدتم للمسلم مخرجًا فخلُّوا سبيلَهُ ، فإن الإمامَ لأنْ يُخْطِئَ فى العفو خَيْرٌ له من أنْ يُخْطِئَ فى العقوبة » .

وروى البخارى عن النبى ﷺ قال : « لا يحل دَمُ امرئٍ مسلمٍ إلا بإحدى ثلاثٍ : الثَّيْبُ الزَّانِي ، والنَّفْسُ بالنَّفْسِ ، والتَّارِكُ لدينِهِ المَفَارِقُ للجماعة » .

وقد جاء فى كتاب ( التشريع الجنائى الإسلامى ) للأستاذ الشهيد عبد القادر عودة ، مانصه (٦٨٦) : وتمتاز العقوبات المقررة لجرائم الحدود بثلاث ميزات :

---

( ٦٨٦ ) كما جاء فى كتاب ( منهاج الصالحين )

أ- إن هذه العقوبات وضعت لتأديب الجانى وكفه هو وغيره عن الجريمة ، وليس فيها مجال لوضع شخصية الجانى موضع الاعتبار عند توقيع العقوبة .

ب- إن هذه العقوبة تعتبر نأْت حِدِّ واحد وإن كان فيها ما هو بطبيعته ذو حدِّين ، لأنها عقوباتٌ مُقدرة معينة ، ولأتها عقوبات لازمة ، فلا يستطيع القاضى أن ينقص منها أو يزيد فيها ، كما أنه لا يستطيع أن يستبدل بها غيرها .

ج- إن هذه العقوبات جميعاً وُضعت على أساس محاربة الدوافع التى تدعو للجريمة بالدوافع التى تصرف عن الجريمة ، أى : أن هذه العقوبات وُضعت على أساس متين من علم النفس .

وقد أشار صاحب كتاب ( منهاج الصالحين ) إلى أقسام الجرائم بحسب جسامة العقوبة المقررة عليها ، فقال تحت عنوان :

## ❖ حُدود الله وحماية المجتمع

تنقسم الجرائم بحسب جسامة العقوبة المقررة عليها إلى ثلاثة أقسام :

القسم الأول : جرائم الحدود : وهى الجرائم المعاقب عليها ، والحد هو العقوبة المقدرة حَقًّا لله تعالى (٦٨٧) ، ومعنى العقوبة المقدرة أنها محددة معينة فليس لها حد أدنى ولا حد أعلى ، ومعنى أنها حق لله أنها لا تقبل الإسقاط لا من الأفراد ولا من الجماعة .

وتُعتبر العقوبة حَقًّا لله فى الشريعة كلما استوجبها المصلحة العامة ، وهى دفع الفساد عن الناس وتحقيق الصيانة والسلامة لهم ، وكل جريمة يرجع فسادها إلى العامة ، وتعود منفعة عقوبتها عليهم ، تُعتبر العقوبة المقررة عليها حَقًّا لله تعالى تأكيداً لتحصيل المنفعة وتحقيقاً لدفع الفساد والمضرة إذ اعتبار العقوبة حَقًّا لله يؤدى إلى عدم إسقاط العقوبة بإسقاط الأفراد أو الجماعة لها .

---

( ٦٨٧ ) كما جاء فى كتاب ( فتح القدير ) الجزء الرابع ص ١١٢ ، ١١٣ ، والإقناع جزء رابع ص ٢٤٤

- الأحكام السلطانية ١٩٢ - ١٩٥ بدائع الصنائع سابع ص ٥٦ ، ٢٣ ، وكما أشار إلى هذا فى

هامش ( منهاج الصالحين ) ص ٥٧١ .

وجرائم الحدود معينة ومحدودة العدد، وهي سبع جرائم: ( ١ ) الزنا، ( ٢ ) القذف، ( ٣ ) الشرب للخمر، ( ٤ ) السرقة، ( ٥ ) الجراية، ( ٦ ) الرِّدَّة، ( ٧ ) البغى .  
ويُسميها الفقهاء الحدود دون إضافة لفظ جرائم إليها، وعقوبتها تُسمى الحدود أيضًا، ولكنها تُميزُ بالجريمة التي فُرضت عليها، فيقال: حَدُّ السرقة، وحَدُّ الشرب، ويقصد من ذلك عقوبة السرقة وعقوبة الشرب .

**القسم الثاني:** جرائم القصاص والدية . وهي الجرائم التي يُعاقب عليها بقصاص أو دية، وكل من القصاص والدية عقوبة مقدرة حَقًّا للأفراد، ومعنى أنها مقدرة أنها ذات حَدٍّ واحد، فليس لها حد أعلى وحَدُّ أدنى تتراوح بينهما، ومعنى أنها حق للأفراد أن للمجنى عليه أن يعفو عنها إذا شاء . فإذا عفا أسقط العفو العقوبة المعفو عنها .

وجرائم القصاص والدية خمس: ( ١ ) القتل العمد، ( ٢ ) القتل شبه العمد، ( ٣ ) القتل الخطأ، ( ٤ ) الجنابة على ما دون النفس عمدًا، ( ٥ ) الجنابة على ما دون النفس خطأ .

ومعنى الجنابة على ما دون النفس الاعتداء الذي لا يؤدي للموت كالجرح والضرب  
**القسم الثالث:** جرائم التعازير : وهي الجرائم التي يُعاقبُ عليها بعقوبة أو أكثر من عقوبات التعزير .

ومعنى التعزير التأديب، وقد جرت الشريعة على عدم تحديد كل عقوبة تعزيرية، واكتفت بتقرير مجموعة من العقوبات لهذه الجرائم تبدأ بأخف العقوبات وتنتهى بأشدها، وتركت للقاضي أن يختار العقوبة أو العقوبات في كل جريمة بما يلائم ظروف الجريمة وظروف المجرم، فالعقوبات في جرائم التعزير غير مقدرة .

وجرائم التعزير غير محدودة كما هو الحال في جرائم الحدود أو جرائم القصاص والدية، وليس في الإمكان تحديدها، وقد نصت الشريعة على بعضها وهو ما يعتبر جريمة في كل وقت كالربا، وخيانة الأمانة، والسب، والرشوة، وتركت لأولى الأمر النص على بعضها الآخر، وهو القسم الأكبر من جرائم التعزير، ولكن الشريعة لم تترك لأولى الأمر الحرية في النص على هذه الجرائم، بل أوجبت أن يكون التحريم بحسب ما تقتضيه حال الجماعة وتنظيمها والدفاع عن صوالحها ونظامها العام، وأن لا يكون مخالفًا لنصوص الشريعة ومبادئها العامة، وقد قصدت الشريعة من إعطاء أولى الأمر

حق التشريع في هذه الحدود تمكينهم من تنظيم الجماعة وتوجيهها الوجهات الصحيحة ، وتمكينهم من المحافظة على صوالح الجماعة والدفاع عنها ومعالجة الظروف الطارئة .

والفرق بين الجريمة التي نصت عليها الشريعة والعمل الذي يُحرمه أولو الأمر : أن ما نصت عليه الشريعة مُحرم دائماً فلا يَصِحُّ أن يُعتبر فعلاً مُباحاً ، أما ما يُحرمه أولو الأمر فيجوز أن يُباحَ غداً إذا اقتضت ذلك مصلحة عامة . أ . هـ .

فلاحظ كل هذا أختا الإسلام وكن من الحريصين على الاستفادة به على سبيل العلم أو التنفيذ في حدود مسئوليتك .. التي قد توجب عليك تنفيذ حدود الله المشار إليها في قوله تبارك وتعالى : ﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرِبُوهَا كَذَلِكَ يَبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ (سورة البقرة : الآية ١٨٧ )

﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (سورة البقرة : الآية ٢٢٩ )

أسأل الله تعالى أن ينفعنا بهذا العلم النافع ، وتنفيذ حدوده سبحانه وتعالى .. والله ولي التوفيق .

\*\*\*

## (١٠١) أترون هذه المرأة طارحةً ولدها في النار؟

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : قَدِمَ رسول الله ﷺ بِسَبِيٍّ . فإِذَا أَمْرَأَةٌ مِنْ السَّبِيِّ تَسْعَى إِذَا وَجَدَتْ صَبِيًّا فِي السَّبِيِّ أَخَذَتْهُ فَالزَّقَتْهُ بِيَطْنِهَا فَارْضَعَتْهُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « أَتُرُونَ هَذِهِ الْمَرْأَةَ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ ؟ » قُلْنَا : لَا وَأَنْتَ . فَقَالَ : « اللَّهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بَوْلِدِهَا » متفق عليه .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الْخَلْقَ كَتَبَ فِي كِتَابٍ (٦٨٨) فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ : إِنْ رَحِمْتِي (٦٨٩) تَغْلِبَ غَضَبِي » (٦٩٠) وَفِي رِوَايَةٍ : « غَلِبَتْ غَضَبِي » وَفِي رِوَايَةٍ : « سَبَقَتْ غَضَبِي » متفق عليه .

وعنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « جَعَلَ اللَّهُ الرَّحْمَةَ مِائَةَ جُزْءٍ فَامْسِكْ عِنْدَهُ تِسْعَةً وَتَسْعِينَ وَأَنْزَلَ فِي الْأَرْضِ جُزْءًا وَاحِدًا فَمَنْ ذَلِكَ الْجُزْءُ يَتْرَاحِمُ الْخَلَائِقَ حَتَّى تَرْفَعَ الْأَدَابَةَ حَافِرَهَا (٦٩١) عَنْ وَلَدِهَا خَشِيَّةً أَنْ تَصِيبَهُ . » وَفِي رِوَايَةٍ : « إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى مِائَةَ رَحْمَةٍ أَنْزَلَ مِنْهَا رَحْمَةً وَاحِدَةً بَيْنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالْبَهَائِمِ وَالْأَهْوَامِ فَبِهَا يَتَعَاطَفُونَ وَبِهَا يَتْرَاحِمُونَ وَبِهَا تَعَطَّفُ الْوَحْشُ عَلَى وَلَدِهَا ، وَأَخَّرَ اللَّهُ تَعَالَى تِسْعًا وَتَسْعِينَ رَحْمَةً يَرْحَمُ بِهَا عِبَادَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » . متفق عليه .

ففي هذه الأحاديث الشريفة الصحيحة يشير النبي ﷺ من خلال إجاباته فيها إلى سعة رحمة الله تبارك وتعالى التي : ﴿ وَسَعَتْ كُلُّ شَيْءٍ ﴾ أي المؤمن والكافر ، .. وكل خلق الله تبارك وتعالى ( الرحمن الرحيم ) ، قال ألبضاوي : وهذا في الدنيا ، وأما في الآخرة ، قوله ﴿ فَسَأَكْتَبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ .. ﴾ الآية .. إنه في قوله هذا يشير إلى ما جاء في الآية ١٥٦ ، ١٥٧ من سورة الأعراف ، والتي يقول الله تبارك وتعالى فيها : ﴿ وَأَكْتُبُ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدُنَا إِلَيْكَ ﴾ أي أجعلنا ممن كتبت له في الدنيا

(٦٨٨) من صفح الملائكة .

(٦٨٩) إثابة الطبع .

(٦٩٠) أي : خذلانه وعقابه لعصيانه ، والمراد بالسبق والغلبة كثرة الرحمة وشمولها ورضاه سبحانه وتعالى .

(٦٩١) بمنزلة الظلف من البقر ، والخف من الجمل ، وقد خص ﷺ للفرس ترى حركتها مع ولدها مع الخفة والسرعة في التنقل .

الصالحات من الأعمال ، وفي الآخرة المغفرة من الذنوب ، إننا تبنا إليك ﴿ قال عذابي أُصِيبُ به مَنْ أَسَاءَ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ أى : قال الله لموسى عليه السلام : عذابي أُصِيبُ به مَنْ أَسَاءَ مِنْ خَلْقِي ، وَرَحْمَتِي عَمَّتْ خَلْقِي كُلَّهُمْ .

وَأُحِبُّ أَنْ أُشِيرَ هُنَا إِلَى مَلاحِظَةِ — قَد تَكُونُ هَامَةً — وَهِيَ أَنَّهُ لَوْ كَانَتِ الْآيَةُ هَذِهِ قَد انْتَهتْ عِنْدَ قَوْلِهِ تَعَالَى .

﴿ وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ : لَجَازَ لِإِبْلِيسَ عَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ أَنْ يُطَالِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَنْ يَكُونَ مِنْ أَهْلِ الرَّحْمَةِ الَّذِينَ سَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ — إِنْ شَاءَ اللَّهُ — .. لِأَنَّهُ شَيْءٌ مِنَ الْأَشْيَاءِ — وَإِذَا كَانَ كَلَامُ الْمَلُوكِ لَا يُرَدُّ ، فَمَا بِالْكَ بِلِقَامِ مَلِكِ الْمَلُوكِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى .. وَلَكِنْ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَهُوَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ لَمْ يَتْرِكْ لِلْبَاسِلَةِ أَحْتِجَاجًا ، وَلِهَذَا قَالَ بَعْدَ ذَلِكَ : ﴿ فَسَاكُنْهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ ﴾ أى : فَسَاكُنْ رَحْمَتِي وَأَجْعَلْهَا لِلَّذِينَ يَخَافُونَ اللَّهَ ، وَيَجْتَنِبُونَ مَعَاصِيَهُ ، وَيُؤَدُّونَ زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ لِمُسْتَحِقِّهَا ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴾ أى : وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُقَرُّونَ وَيُصَدِّقُونَ .. ثُمَّ بَيَّنَّ — سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى — وَفَصَّلَ هَؤُلَاءِ فَقَالَ : ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ ﴾ أى الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ مُحَمَّدًا ﷺ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ — أَيِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ وَلَا يَكْتُبُ ، وَذَلِكَ مِنْ أَعْظَمِ دَلَائِلِ نُبُوتهِ ﷺ ، وَليْسَ مَعْنَاهُ الْجَاهِلُ الَّذِي لَمْ يَتَعَلَّمْ — قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِي تَفْسِيرِ مَعْنَى الْأُمِّيِّ : هُمْ أُمَّةٌ مُحَمَّدٌ ﷺ ... وَهُوَ الْمُبَشَّرُ بِهِ .

﴿ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ ﴾ أى : الَّذِي يَجِدُونَهُ نَعْتَهُ وَصِفَتَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ ﴿ يَا مَرْهَمُ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ أى : يَا مَرْهَمُ هَذَا النَّبِيُّ اتَّبَاعُهُ بِالْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَطَاعَتُهُ ، وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الشَّرِكِ بِاللَّهِ وَالْمَعَاصِي ﴿ وَيُجِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ ﴾ أى : وَيُجِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ الَّتِي أَحَلَّهَا اللَّهُ ، وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ كُلَّهَا مِنَ الْخَمْرِ وَالْمَشَارِبِ وَالْحَرَامِ مِنْهَا ، وَهَذَا مَذْهَبُ مَالِكٍ ، وَقَالَ الشَّافِعِيُّ : الطَّيِّبَاتِ الْمَسْتَلْذَّاتِ ، وَالْخَبَائِثُ الْمُسْتَقْذَرَاتُ كَالْخَنَافِسِ وَالْعَقَارِبِ — ﴿ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ ﴾ أى : وَيَضَعُ عَنْهُمْ الْعَهْدَ الَّذِي كَانَ أُخِذَ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ ، بِالْعَمَلِ بِمَا فِي التَّوْرَةِ مِنَ الْأَعْمَالِ الشَّدِيدَةِ — تَفْسِيرُ الْإِصْرِ بِالْعَهْدِ مَنْقُولٌ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَرَجَّحَهُ الطَّبْرِيُّ ، وَقَالَ بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ : الْإِصْرُ الْأَحْكَامُ الشَّاقَّةُ وَالْتِكَالِيفُ الَّتِي يَضْعَفُ عَنْ حَمْلِهَا الْإِنْسَانُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا ﴾ وَهَذَا هُوَ الْأَظْهَرُ

والأرجح - ﴿ والأغلال التي كانت عليهم ﴾ أى : والتكاليف الشاقة التي كانت عليهم ثم نسخها القرآن كتحريم الغنائم ، وقتل النفس في التوبة ﴿ فالذين آمنوا به ﴾ أى : فالذين صدقوا بالنبي الأمي وأقروا بنبوته ﴿ وعزروه ونصروه ﴾ أى : ووقروه وعظموه ، ونصروا دينه بجهادهم معه أعداء الله ﴿ وأتبعوا النور الذي أنزل معه ﴾ أى : وأتبعوا القرآن الذي أنزله الله عليه ﴿ أولئك هم المفلحون ﴾ أى : أولئك هم الناجحون الظافرون بما طلبوا .

فلتكن أخصا الإسلام أهلاً لرحمة الله تبارك وتعالى الذي ورد أنه قال في حديثه القدسي : « ما أقل حياءً من يطمع في جنتي بغير عمل ، كيف أجودُ برحمتي على من بخل بطاعتي ؟ » .

وليكن ماجاء في هاتين الآيتين الكريمتين هو الأساس في مفهوم المعنى المراد من قول الله تعالى : ﴿ ورحمتي وسعت كل شيء ﴾ .

هذا ، وإذا كان لنا بعد هذا التقديم الموجز أن نقف على المعنى المراد من هذه الأحاديث الشريفة التي هي موضوعنا .. فإنه حسبنا أن نقف وباختصار على ماجاء في ( دليل الفالحين ) من الإيجاز المفيد الذي نسأل الله تعالى أن ينفعنا به ، وذلك على النحو التالي :

( عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : قُدم ) بالبناء للمفعول ( على رسول الله ﷺ بسبي ) أى : من الأسرى .. يقال : سبيت العدو أى : أسرته ( فإذا امرأة من السبي تسعى ، إذا وجدت صبيًا في السبي أخذته فالزقته ببطنها ) رحمة له ( فأرضعته ) لذلك ( فقال رسول الله ﷺ : أترون ) أى : أتعقدون ( هذه المرأة طارحة ولدها في النار ؟ قلنا : لا والله ) أى : لا نرى ذلك ، وأكد عدم ذلك بالقسم ، فقال : ( الله ) وفي نسخة من البخارى : ( والله لله ) بإدخال لام القسم عليه ، وفي أخرى : ( لله ) من غير قسم قبله ، فاللام حينئذ إما للتوكيد أو جواب قسم مقدر ( أرحم بعباده من هذه بولدها ) .

وإذا كان الرسول صلوات الله وسلامه عليه قد ختم حديثه هذا بتلك الخاتمة العظيمة التي تشير إلى سعة رحمة الله تبارك وتعالى .. كما جاء تأكيد هذا وتوضيحه في بقية الروايات التي وقفنا عليها .. فإنه بهذا كذلك يشير من قريب ومن بعيد إلى حنان الأم وفضلها الأشمل والأعم من فضل أوالده .. كما يشير إلى هذا المعنى الكبير ، ما ورد

في حديث متفق عليه ، سبق التذكير به ، ونعيد ذكره هنا للاستشهاد به في موضوعه ، ولتأكيد المعنى :

فعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : « جاء رجل إلى رسول الله ﷺ ، فقال : يارسول الله ، مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِي ؟ قال : أُمُّكَ ، قال : ثُمَّ مَنْ ؟ قال : أُمُّكَ ، قال : ثُمَّ مَنْ ؟ قال : أَبُوكَ . »

وفي رواية « يارسول الله مَنْ أَحَقُّ بِحُسْنِ الصُّحْبَةِ ؟ قال : أُمُّكَ ، ثُمَّ أُمُّكَ ، ثُمَّ أَبَاكَ ، ثُمَّ أَدْنَاكَ أَدْنَاكَ . »

( وألصحابة ) بمعنى ألصحية ، وقوله ( ثم أباك ) هكذا هو منصوب بفعل محذوف : أى : ثم برأبائك

وفي رواية : ( ثم أبوك ) أى : إنه معطوف على الخبر للمبتدأ المحذوف .

وذلك لأن الأم بصفة خاصة هي التي تحملت العبء الكبير من مشقات الحمل .. كما يشير إلى هذا قول الله تبارك وتعالى في الآية رقم ١٤ من سورة لقمان :

﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ .. ﴾ أى : وأمرنا الإنسان ببر والديه ، حملته أمه ضعفاً على ضعف ، وشدة على شدة .

وفي سورة الأحقاف الآية رقم « ١٥ » يقول تبارك وتعالى : ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا ﴾ أى : وصينا ابن آدم بوالديه أن يحسن صحبتَهُمَا ، وَأَنْ يَبْرَّ بِهِمَا فِي حَيَاتِهِمَا ، وبعد مماتهما ﴿ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ﴾ أى : حملته أمه في بطنها مشقة ، وولادته بمشقة . ثم لم تزل تُعَانِي المتاعب والآلام في تربيته والسهر عليه حتى يصبح وليداً وناشئاً .

وكما يقول أحد الحكماء :

وَمَنْ بِالرُّوحِ تَفَدِنِي	أَحِبُّ الْوَالِدَيْنِ لِي أُمِّي
عَلَى مَهْدِي تَقْطِئِنِي	فَكَمْ مِنْ لَيْلَةٍ قَامَتْ
وَأِنْشَادِ تَغْنِينِي	بِصَوْتِ هَادِيءٍ عَذْبٍ
وَمِنْ حَافِي فَتَحْمِينِي	تَخَافُ عَلَيَّ مِنْ بَرْدِ
أُنَادِيهَا فَتَاتِينِي	وَمِنْ مَرَضٍ وَمِنْ أَلَمِ
كَمَا تَسْعَى وَتُرْضِينِي	سَاعِي فِي هُنَّ أَعَاتِيهَا

وكما يقول أيضًا أحدهم متحدثًا عن أوالدين ، وعن الأم بصفة خاصة :

تزيل أذاك وهى بطيب نفس  
وإن تدنو لك الأمراض يوماً  
وتمنع أحسن المأكول عنها  
وفيك أبوك يُصبح في أهتمام  
ويطلب أن تصح له دواماً  
وإن تبكى تُسارع بالعطاء  
سمعت أنينها من ذى العناء  
لتأكله وترجو لك الشفاء  
ويمسى في هُموم أو شقاء  
ويرجو أن تُخلد بالبقاء

فلاحظ كل هذا أذا الإسلام حتى تكون على علم به .. بل وحتى تكون منفذاً للمراد منه .. وإذا كان لنا أن نعود بعد ذلك إلى الوقوف على أهم المعانى الواردة في الحديثين الباقين حتى ننتفع بهما كذلك .. ولا سيما بالنسبة للموضوع الذى ندور حوله مع الشرح الموجز كما جاء في ( دليل أالفالحين ) ، فإليك :

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لما خلق الله الخلق كتب في كتاب » أى : من صُحف الملائكة ، وإلا فأقضية الله قديمة أزلية « فهو » ضمير شأن والخبر جملة إن مع أسمها وخبرها « عنده فوق العرش » ظرفان في محل أالحال حذف عاملهما : أى : أعنيه حال كونه عنده ، عندية شرف ومكانة فوق العرش « إن رحمتى تغلب غضبى » وفي رواية للبخارى ومسلم : « سبقت غضبى » قال ألمصنف : قال ألعلماء : غضب الله ورضاه يرجعان إلى معنى الإرادة ، فأرادته الإثابة للمطيع ، ومنفعة العبد تُسمى رضاه ورحمته ، وإرادته عقاب ألعاصى وخذلانه يُسمى غضباً ، وإرادته سبحانه صفة له قديمة يريدُ به جميع ألمراد ، قالوا : وألمراد بالسبق وألغلبة هذا كثرة أالرحمة وشمولها ، كما يقال : غلب على فلان ألكرم وألشجاعة إذا كثر منه أ. هـ .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « جعل الله أالرحمة مائة جزء » قال ألدمامينى في تعليق المصابيح على أبواب الجامع الصحيح : اعلم أنه يجوز عند المتكلمين في تأويل مالا يسوغ نسبته إلى الله تعالى على حقيقته اللغوية وجهان : أحدهما أالحمل على الإرادة فيكون من صفات الذات ، والآخر أالحمل على فعل أالإكرام فيكون من صفات الفعل ، كأالرحمة فإنها في اللغة مشتقة من أالرحم ، وأحصلها رقة طبيعية وميل جبلي ، وهذا مستحيل من أالبارى سبحانه ، فمنهم من

يحملها على إرادة الخير ، ومنهم من يحملها على فعل الخير ، ثم بعد ذلك يتعين أحد التاويلين في بعض السياقات لمانع يمنع من الآخر . مثالها هنا قيتعين تأويلها بفعل الخير لتكون صفة فعل فتكون حادثة عند الأشعري ، فيتسلط الخلق عليها ولا يصح تأويلها هنا بالإرادة ؛ لأنها من صفات الذات فتكون قديمة فيمتنع تعلق الخلق بها ويتعين تأويلها بالإرادة في قوله تعالى : ﴿ لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم ﴾ ؛ لأنك لو حملتها على الفعل لكانت العصمة بعينها فيكون استثناء الشيء من نفسه ، وكأنك قلت : لا عاصم إلا العاصم ، فتكون الرحمة الإرادة به والعصمة على بابها لفعل المنع من المكروهات ، كأنه قيل : لا يمتنع من المحذور إلا من أراد الله له السلامة أ . هـ .

هذا وقد جاء في رواية لمسلم : « كل رحمة طباق ما بين السماء والأرض » « فأمسك عنده تسعة وتسعين » جزءاً ، وفي رواية « وأنه أخر عنده تسعة وتسعين رحمة » « وأنزل في الأرض جزءاً واحداً » ، وفي رواية : « وأرسل في خلقه كلهم رحمة واحدة » ، ( فمن ذلك الجزء ) من يحتمل أن تكون تعليلية ، وأن تكون بمعنى الباء أو الابتداء أو التبويض ( يتراحم الخلائق ) في رواية : « فيها يتعاطفون وبها يتراحمون وبها تعطف ألوحش على ولدها » ( حتى ترفع الدابة حافرهما ) هو للفرس وللجمار بمنزلة الظلف من البقر والخف من الجمل ( عن ولدها خشية ) مفعول له ( أن تُصَيِّبُهُ ) وخُصَّ ذو الحافر بالذكر ، قال ابن أبي جمرة : لأنه أشد الحيوان المألوف الذي يرى المخاطبون حركته مع ولده ، ولما في الفرس من الخفة والسرعة والتَّثَقُّلُ ومع ذلك تتجنب أن يصل الضرر منها إلى ولدها .

وفي رواية ، أى : لهما عن أبي هريرة رضى الله عنه : « إن لله تعالى مائة رحمة أنزل منها رحمة واحدة بين الجن والإنس » . الظرف محتمل الحالية لوصف النكرة ، والوصفية لنكارتها ( والبهائم ) جمع بهيمة ، قال البيضاوى : والبهيمة كل حي لا يميز ، وقيل : كل ذات أربع ، قال القرطبي : سُمِّيَ بهذا ؛ لأنه بهم عن أن يبين ، قال الراغب : البهيمة ما لا نطق له من الحيوان ثم حُصِّصَ في التعارف بما عدا السباع والطيور ، ثم استعملت في الأزواج الثمانية إذا كان فيها الإبل ، وسُمِّيَ بذلك لإبهامه الأمر وكتمه ( وألهوامٌ ) بتشديد الميم جمع هامة وهي الحشرات ، وفي الفتح : ألهوام بتشديد الميم وهي ما يدبُّ من الأحناش ( فيها ) أى : بتلك الرحمة ( يتعاطفون وبها يتراحمون وبها يعطف الوحش ) بفتح الواو ، وهو ما لا يُستأنسُ من دوابِّ البرِّ ، كذا في المصباح ، وهو اسم جنس ، فلذا أعاد الضمير عليه مؤنثاً ، فقال : « على ولدها ، وأخر الله تسعة

وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة » ، ففيه إيماء إلى مزيد الكرم وتقوية الرجاء في فضل المولى سبحانه .

وفي رواية لمسلم أيضاً من رواية سلمان أَلْفَارَسِي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ « إِنَّ لِلَّهِ تَعَالَى مِائَةَ رَحْمَةٍ فَمِنْهَا رَحْمَةٌ يَتَرَاخَمُ » ، أَيْ : يَرْحَمُ « بِهَا الْخَلْقَ بَيْنَهُمْ ، وَتَسَعُ وَتَسَعُونَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ » .

فلتكن أخت الإسلام أهلاً لهذا التراحم حتى تكون أهلاً لرحمة الله تبارك وتعالى .  
ففي الحديث الشريف المتفق عليه يقول صلوات الله وسلامه عليه : « مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يُرَحَمُ » .

وَأَلَّهِ وَلى التوفيق ،،

## ( ١٠٢ ) مَنْ أَقْرَبُ النَّاسِ مِنْكَ مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟

عن جابر رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ (٦٩٢) أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا ، وَإِنْ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي يَوْمَ الْقِيَامَةِ الثَّرَثَارُونَ وَالْمَتَشَدِّقُونَ وَالْمَتَفِيهِقُونَ » قالوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ عَلِمْنَا الثَّرَثَارُونَ وَالْمَتَشَدِّقُونَ فَمَا الْمَتَفِيهِقُونَ ؟ قَالَ : « الْمَتَكَبِّرُونَ » . رواه الترمذى وقال : حديث حسن .

( والثَّرَثَارُ ) : هو كثير الكلام تكلفاً (٦٩٣) ، ( والمتَشَدِّقُ ) هو المتطاول على الناس بكلامه ، ويتكلم بملء فيه تفاصلاً وتعظيماً للكلامه ( والمتفِيهِقُ ) : أصله من الفهق وهو الامتلاء : وهو الذى يملأ فمهُ بالكلام ويتوسع فيه ويُغْرِبُ فيه تَكْبُرًا وَارْتِفَاعًا وَإِظْهَارًا للفضيلة على غيره .

( ٦٩٢ ) أى : في الجنة .

( ٦٩٣ ) أى : خروجاً عن الحق .. والثَّرَثَةُ كثرة الكلام وترديده .